انمرد

٢٩٧

قد وصف بده الرساله سلطان السلطان العظام
ظل الله فی العالم السلطان بن السلطان السلطان محمود خان
خلد الله خلافته الی آخر الایام وقد صحی سر عبد المطالع
وافاد واسعاد آخره العصر المتقاص السبحانه وتعالی
درویش مصطفی عفی عنه المقص وقاف

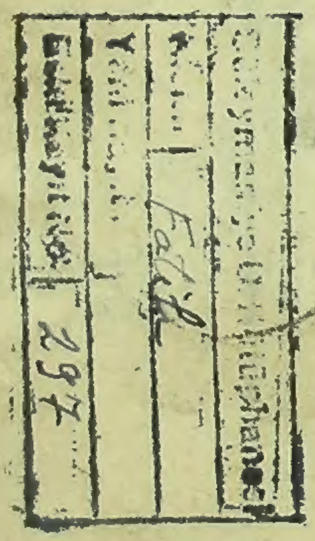

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

K. 385

٥٥٥

الحمد لله الذى كان ولم يكن معه شئ من الاكوان • جل بجلال ذاته وعظم بكمال صفاته
عن شوائب النقص والامكان • توحد بعلمه الازلى بالممكنات من الاشياء
والامكان • وتفرد من لم يزل ولا يزال وهو مفيض الجود والاحسان • فسبحان
من بسط بالنفس الرحمانى عين الوجود على الاعيان • وعين الاعيان بالفيض
الاقدس وكون الاكوان • فاخرجها من ظلمة العدم الى نور الوجود والعيان • وخص
من بينهم نوع الانسان بجعل انشيه بعد لبسه قابلا للعلم والبرهان • فنزل الفرقان
كتاب مستطاب احكمت آياته من لدن حكيم عليم فلا يقدر على معارضته
انس ولا جان • تبيان لكل شئ وموعظة للمتقين بايضاح نصوصه وتبيين
فصوصه وتخصيص عمومه وتفهيم خصوصه كشفا لغياهب الجهالة والارتياب
عن اولى الالباب والايقان • وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا

كما قال الرحمن علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان
تبارك الذى صح

ولا من خلقه فجعل ناسخا لسائر الكتب والاديان • محكما بالغة وانه لقول فصل
ونور وشفاء لما فى الصدور من عمل به فهو على الصراط المستقيم الموصل
الى نعيم القرب والجنان • ومن اعرض عنه فهو هالك من الهالكين ومطرود
بعيد من الرحمة ومخلد فى النار مع الكفرة والشيطان • ثم الصلوة على اشرف
مخلوقاته كما هو اهل لها محمد الذى تنور قدره مشكوة ميامن وجوده انوار
الكمالات والايمان • وتفجر من مصباح ينابيع جوده ازهار السعادات
والعرفان • ارسله رحمة ونورا للعالمين بالهدى والبيان • فعند العارفين
للملائكة والجادات والثقلين • وقوله تع ليكون للعالمين نذيرا وقول
الرسول صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا لديه ارسلت الى الخلق
كافة يدلان عيان تخصيص رسالته بالثقلين فى معرض البطلان • وفايدة الارسال
للمعصوم وغير المكلف طلب الدعاء لشرفه ودخولهما تحت دعوته واتباعه
تشريفا له على سائر الرسل فى جميع الازمان • لولاه لما خلق الاكوان • ولا ظهر الوجوب
والامكان • فاخرج الى الوجود بالجود ما اكتنفه العدم بسببه وجعل روحه اول
الكائنات واصلها وخلاصة الاكوان • بشيرا لمن اطاعه من اهل الهداية بالجنة والغفران •
نذيرا للمارقين عن طاعته من اهل الضلالة بالعقاب والنيران • وعلى آله وصحبه الذين
هم اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا •
اما بعد فيقول العبد الفقير الى الله الملك الصمد الى عبد المحسن بن سليمان الكورانى
المشتاق بالافادة لينفع الانام فى روضة الرسول عليه الصلوة والسلام لما كان المقصد
الاقصى للعلماء الاعلام ووراثة الانبياء عليهم السلام وهى منحصرة منها
فى العلم والعمل والتكميل من عمل بما علم ورثه الله تع علم ما لم يعلم وانى السبيل
على ذلك المطلب الجليل • بالوقوف على مواقع التنزيل • والتدبر فيها اذ هى
المظهرة لتفاصيل الشعاير الدينية • والمفسرة لمشكلات الايات الكونية •

وبها تكتسب الملكة الفاخرة وبها يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة عليها
يدور ذلك الاوامر والنواهي واليها تستند معرفة الاشياء كما هي وجيانا طقا
بينات وحج وقرانا عربيا غير ذي عوج المحكم به من طويلت معارضته من الكتب
الغوابر والمحكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء وقوله تعالى كتاب انزلناه
اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله تعالى وما كان المؤمنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم وقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقوله
صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل فقيها حتى يرى للقران وجوها كثيرة وقول
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القران
ذو وجوه كثيرة فاحملوه على احسن وجوهه دلايل واضحة دالة على ان
التاويل في القران لا يكون موقوفا على السماع بل الموقوف عليه هو العلم بسبب
النزول وامثال ذلك فعلى هذا لابد للعلماء المدبر في كلام القديم الذي
من اتبع هداه فقد فاز بمناه ومن اعرض عن عانده وعصاه والحذ الهه هواه
فقد بام في مهاوي الردى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والعمل به قال النبي صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا
لديه القران حبل الله المتين وقال فيه نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم
قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين ثم تبليغ آياته قال النبي صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه
بلغوا عني ولو آية وقال للحاضرين عنده فليبلغ الشاهد الغايب ليتبوا
في هذه المرتبة العظمى فتحصل لهم الدرجات العلى ولقد تصدى لتفسير
غوامض مشكلاته اساطين ايمة التفسير وتولى لتبيين غويضات موضلاته

سلاطين

وقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم

عليه وزاده فضلا وشرفا لديه
في دعائه لابن عباس
رضي الله عنهما كما ورد في
الحديث اللهم فقهه
في الدين وعلمه التاويل
وقول علي رضي الله
عنه صح

سلاطين اسوة التقرير فغاصوا في بحاره وفاضوا في بحوره فنظموا فرايده في سلك
التحرير وابرزوا فوايده في معرض التقرير ولكنهم قدس الله ارواحهم
وافاض علينا من بركاتهم كثيرا ما اقتصروا على الظاهر او البطن فقد علم كل اناس
مشربهم وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف كلها كاف شاف لكل اية
منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع والبه الاشارة بقوله تعالى افلا يتدبرون
القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال الغوابي حدثنا
سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل اية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع فاختلف في معنى هذين
الحديثين اختلاف كثير لكن المطابق للذوق السليم والموافق للطبع
المستقيم في معناهما ان ظهرها ما ظهر من معانيها من المعنى الجلي المكشوف
لاهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الاسرار التي اطلع الله عليها ارباب
القلوب والحقايق الذين اكرمهم الله تعالى بالعلم اللدني ورائض الحكمة
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا بحيث يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر
المرادة بها ويشهد عليه الكتاب والسنة فان كل سر لا يشهد ان عليه
بل يكون مخالفا لها فهو ليس بسر بل الحاد وزندقة لقوله تعالى ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين ومعنى قوله ولكل حرف حد اي منتهى فيما اراد الله
من معناه وقيل الحد ما يثنا هاله المفهوم من معنى الكلام وقيل لكل حكم
مقدار من الثواب والعقاب ومعنى قوله ولكل حد مطلع لكل غامض من
المعاني والاحكام مطلع اي موضع اطلاع على ان لفظ المطلع اسم مكان يتوصل به
الى معرفته ويوقف على المراد به وقال الشيخ العارف بالله محي الدين العربي
قدس سره ظهره جليه وبطنه خفيه وحده ومطلعه ما اختص منه واكتفى

بما اوجز فيه فمذكوره يدل على معنى والمحذوف منه يشير الى معنى وقيل المطلع
ما يصعد اليه منه فيطلع على شهود الملك العلام ولذا قال ابن مسعود
رضى الله عنه من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القرآن وقال الوالبى
قال ابو درداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء
لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقال اخر القرآن يحوى سبعة
وسبعين الف علم ومائتى علم اذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا
اذ لكل واحد ظاهر باطن وحد ومطلع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكلمنى الا تدبره باطن معانيه والاقتصر
وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير انتهى وبالجملة فالعلوم كلها داخلة
فى افعال الله تعالى وصفاته وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وافعاله وهذه
العلوم لا نهاية لها وفى القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات فى التعمق
فى تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل
ما اشكل على النظار واختلف فيه الخلايق فى النظريات والمعقولات
ففى القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركه فكيف تفى بذلك
ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن والتمسوا
غرايبه وقال ابن ابى جمرة عن على ابن رضى الله عنه انه قال لو شئت ان اوقر
سبعين بعيرا من تفسير ام القرآن لفعلت وهذا الذى ذكر لا يحصل بمجرد
تفسير الظاهر بل بكشف الاسرار المتعلقة بظاهر الايات وباطنها وهذا
من كمال الايمان ومحض العرفان قال المشايخ الظهر عنوان البطن فالشروع
على بعض اخوانى ان اقتصر تفسيرا جامعا للظهر والبطن لان الله تعالى خاطب
الانسان بجملته وما خص ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره فاكثر الناس
اشتغلوا بالاحكام الشرعية فى ظواهرهم وغفلوا عن الاحكام المشروعة

فى بواطنهم فالسعادة كل السعادة مع الطايفة التى جمعوا بين الظاهر
والباطن وهم العلماء بالله وباحكامه فمن حكم قرر وشنع فى ظواهرهم الا من
درى او ان ذلك الحكم له نسبة الى بواطنهم فسمعوا بالنفس من كل اية ظاهرها
وبالقلب باطنها وفهموا بالسر حدها وصعدوا بالروح مطلعها فشاهدوا
المتكلم موصوفا بالصفة التى تجلى بها فى الاية واخذوا على ذلك جميع احكام
الشرايع فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهرا وباطنا ففازوا حين خسر الاكثرون
فاستخرت الله تعالى وتوجهت بجاه قبلة الآل صلى الله عليه وسلم
وجميعهم رضى الله عنهم بالغدو والاصال ثم اشتغلت به على وفق
ملتمسهم مادا كف الضراعة والافتقار الى الله تعالى ليسبغ الى واسع
جوده وكرمه والتلفظ بما ذكر امتثال لقوله تعالى واما بنعمة ربك
فحدث فالى مول من ذوى الالباب والعقول من العلماء الاعلام والفضلاء
الفحول ان ينظروا اليه بعين العناية والقبول لانه الف فى الطيبة مدينة
الرسول فاذا انتظمت النشاة المعنوية وتشخصت صورة روحانية
الكلام فى المرتبة الذهنية فلينظروا اليه بنظر الانصاف والاستبصار بنظر
اولى الايدى والابصار فان اطلعوا على فايدة وخبر من غرايب الاسرار
والعلوم ولطايف الاشارات والفهوم فليحمدوا الله عليه وان راوا نقصا
وخللا لا يجدون له محملا صادقا او تاويلا فى زعمهم موافقا فليستروه الى بقعة
امكان الصواب ان لم يتلقوه بالتسليم وليستحضروا قوله تعالى وفوق كل
ذى علم عليم فان علم الله اعظم من ان ينحصر فى ميزان معين او ينضبط
بقانون مقنن هذا مع ان البشر بة محل النقايص والله ولى الارشاد
والتوفيق لاصوب نهج وطريق وارجوت ان اسميه بعد اتمامه بجامع
الاسرار وعلى الله التوكل فى كل حال والاستعانة فى حصول الآمال ومن يتوكل

على الله فهو حسبه واجعله هديةً مني الى كل ذكي جبل على الانصاف طبعه
وعصمه عن الاعتساف نفسه وقبل ما هيهم ثم لما استكمل تحريره ووصل
ترقيمه الاول سورة الاعراف في ايام سلطنة السلطان الذي استظل
الانسان بظلال عدله واحسانه وارتتعوا في رياض امنه وامانه بشوكته
اعلام اهل الفساد والبدع قد انعدمت وبنيان رسومهم وقبابهم
انهدمت رافع مراتب الاسلام الى الغاية القصوى ومعين
كلمة الله العليا مراد الاسلام والمسلمين اجمعين وصاحب النصر و
الفتح المبين قد صار ظل الاسلام ممدودا بوجوده ولواء الشرع معقودا
بجوده اشتاقت يتجان السلطنة الى ايامه وباهت حلل الشوكت
على قامته اشرف السلاطين في الاصل والنسب واحقهم في الفضل والادب
لولاه لزال الاسلام في الارض المعمورة هاربا وارتفع اعلام المسلمين
قاطبة فياض سجال النوال على الخلايق وهاب جلايل النعم والدقايق منفقته
تجلت عن الشرف والبهاء ومرتبته جلت عن الفضل والسنا مالك ممالك
العالم ظل الله الظليل على كافة الانام والي لواء الولاية في الافاق مالك
سرير الخلافة بالاستحقاق المجتهد في نصب سرادق الامن والامان
الممتثل بنص ان الله يامر بالعدل والاحسان الخالص طويته في اعلاء
كلمة الله الصادق نيته في احياء سنة رسول الله سلالة السلاطين الفخام
وتابع الخلفاء الاربعة العظام مجدد الخلافة العثمانية وذكر الازمان
السليمانية خادم الحرمين الشريفين سلطان الروم واليمن والوا
من رام اختيار الدولة فهو عينها او رغب في نور السعادة فهو زينها
واضع بنيان العدل والانصاف وقامع بنيان الميل والاعتساف

بسيوفه

بسيوفه قام الهدى وبه علت انواره في راس كل منار قام الدوام
بنصر دين محمد المصطفى المختار من مختاره يغزو مع الكفار ويوزبه دين
الهدى بالعسكر الجرار آساد غاب في الحروب وفي الوغا اسادا تهم
كالجيد راكرار لو اني صغت الكلام قلايد في مدحه ما كنت بالمكثار
مخ يبخ عن وصف محاسنه اللسان ويكل عن سبط محامده البنان
قاصم القياصرة وقاهر القدرخم سلطان العرب والعجم والروم
مولانا السلطان بايزيد يتجان بن السلطان احمد خان ابن السلطان
محمد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان بن
السلطان سليمان خان بن عثمان لازالت مواهبه يستظرها
سكان الحرمين الشريفين ويردون منها المناهل العذبة كما يغدون كف
على العلمين المنيفين وما برحت ساحته ترويها صوب العهاد الوا
بالسحب الغوادق ومنازل تحفها الرحمة لانها ناصبة للعلي والمفاخر
رافعة جعلته بابه وادخلته في حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم عليه
وزاده فضلا وشرفا لديه ثم جعلته تحفة وارسلته هدية اليه
وان لم تكن بيني وبينه مناسبة غير الشهر وشمس الضحى ولكن نقلت
بتفسير كلام الله الذي به فتح الله ابواب خزاين الحقايق على نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يفتح الله عليه ابواب انواع خيرات الدارين
ويجعل اعدايه مقهورا واحبايه منصورا وقلبه مسرورا وحكمه
نافذا وسلطنته جاريا على اكثر الاقاليم بحرمة كلام القديم
ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عليه وزاده فضلا

وشرف الدنيا واجب الوجود ومفيض الخير والجود ظاهر
آثار معاليه على صفحات الايام وادبط اطناب
دولته باوتاد الخلود والدوام واسلك به مسالك المقربين
في الانام بحق محمد عليه افضل الصلوة واكمل السلام وآله
واصحابه الغر الكرام فهذا انا اشرع في المقصود
بعون الملك المعبود

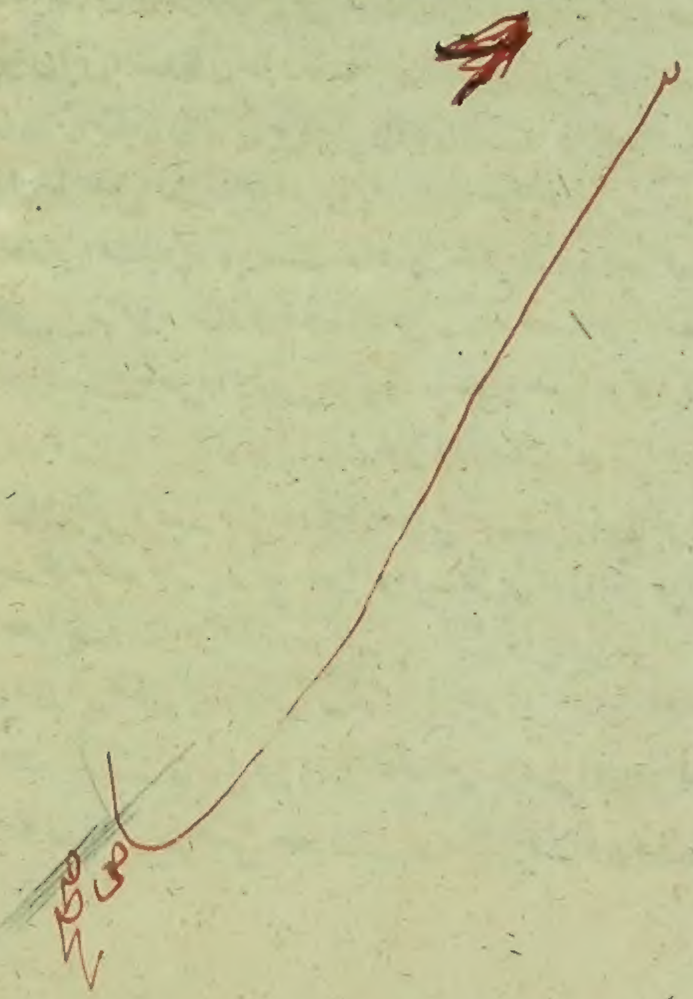

سورة فاتحة الكتاب

السورة عبارة عن طائفة
من القرآن مترجمة اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها
اصلية فمنقولة من سور المدينة وان جعلت مبدلة
من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء وفائدة تقطيع
القرآن سورا ان تنويع الجنس احسن من كونه بايا واحدا او انشط
للقارئ واسهل للحفظ وفاتحة الشيء اوله وخاتمة آخره اذ بهما الفتح
والختم والمراد بالكتاب المجموع المنزل المكتوب بين دفتي المصحف
فمعنى فاتحة الكتاب اول اجزائه ثم صارت بالغلبة علما للسورة
الحمد لله ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوايل عهد النبوة
قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز وجل او من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه
في علم عز وجل وفي اللوح واضافة السورة الى الفاتحة لامية وقيل
اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك وعلم النحو واضافتها اما على معنى الى
الكتاب بمعنى اللام ايضا لان اول الشيء جزء وه واضافة الجزء الى
كله بمعنى اللام وليس كذلك ان تجعل الكتاب جنسا شاملا للمجموع
المنزل والكل واحد لاجزائه كما قيل لان هذه السورة فاتحة
واول بالقياس الى المجموع المنزل لا المفهوم الكلي الذي هو

القدر المشترك ولها اسام اخر كام القرآن وام الكتاب والسبع
المثاني وغيرها اما تسميتها بفاتحة الكتاب فقد علم اجمالا كونها مفتتح
القرآن واما تسميتها بام القرآن وام الكتاب فلانشمالها على اصول
معاني القرآن لكونها مشتملة على ثلثة علوم هي مناط الدين علم اصول
الدين المفيد لمعرفة الله تعالى وصفاته واشير له بقوله الحمد لله رب العالمين
الى مالك يوم الدين وعلم الفروع المفيد للاحكام العملية المشار اليه
بقوله اياك نعبد واياك نستعين اى اياك نعبد في الامثال بجميع اوامرنا
به واياك نستعين في الاجتناب عن كل ما نهينا عنه وعلم التصوف
المشار اليه بقوله اهدنا الصراط المستقيم فان طريق الاستقامة
هي الطريقة النبوية كما قال الله تعالى فاستقم كما امرت وفيها ايضا الاشارة
الى موزة المعاد بقوله ملك يوم الدين والى علم القصص والاخبار
عن الامور السالفة والقرون الماضية السعداء منهم والاشقياء
وما يتصل بهم من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين بسم الله الرحمن الرحيم
من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي
واستدلوا عليه باحاديث كثيرة منها ما اخرجه ابو عبيد وابن سعد في
الطبقات وابن ابي شيبة واحمد وابو داود والترمذي وابن خزيمة

وابن

وابن الانباري في المصاحف والدارقطني والحاكم وصححه والبيهقي
والخطيب وابن عبد البر كلهم في كتاب البسملة عن ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين فعدها آية آية وعدها عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم
آية ولم يعد انعمت عليهم ومنها ما روى عن سعيد المقبري عن ابيه عن
ابي هريرة رضه انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات احداهن
بسم الله الرحمن الرحيم ومنها ما اخرجه الثعلبي عن ابي هريرة قال كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد اذ دخل رجل فصلى فخفف الصلوة
وتعوذ ثم قال الحمد لله رب العالمين فسمع النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له يا رجل قطعت على نفسك الصلوة اما علمت ان بسم الله
الرحمن الرحيم من الحمد فمن تركها فقد ترك آية ومن ترك آية فقد افسد
عليه صلوته واخرج الثعلبي عن علي بن عبد الله قال قال رسول الله
من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله واخرج
الطبراني والدارقطني والبيهقي في الشعب من طريق ابي الطفيل
قال سمعت علي ابن ابي طالب رضه وعمارا يقولان ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يجهر في المكتوبات ببسم الله الرحمن الرحيم
في فاتحة الكتاب واخرج الدار القطني عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تقرأ اذا قمت الى الصلوة
قلت الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم واخرج
الدار قطني والبيهقي في الشعب عن جابر قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف تقرأ اذا قمت الى الصلوة قلت اقرأ
الحمد لله رب العالمين قال قل بسم الله الرحمن الرحيم واخرج الدار
قطني عن ابن عمر قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر فكانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم واخرج الدار
قطني عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني جبرئيل عليه السلام عند الكعبة فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
وباجماع الصحابة على اثباتها في المصحف بخطه اوائل السور سوى
سورة براة دون الاعشار وتراجم السور والتعوذ فلو لم تكن
قرانا لما اجازوا ذلك لانه يحمل على اعتقاد ما ليس بقرانا قان قلت
القرآن انما يثبت بالتواتر قلنا هذا فيما يثبت قرانا قطعا اما
ما يثبت قرانا قطعا حكما فيكفي فيه الظن كما يكفي في كل ظني والبسملة
انما ثبتها في المصاحف مع غير نكير في معنى التواتر فان قلت

لو

لو كانت قرانا لكفر جاحدها قلنا ولو لم تكن قرانا لكفر مثبتها والتكفير لا يليق بالظنيات وقيل انها ليست من القرآن اصلا وانسب ذلك الى ابن مسعود رضي الله عنه وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وهذا هو مذهب مالك رحمه الله روي عنه انه قال لا ينبغي ان تقرأ في الصلوة المكتوبة لا جهرا ولا سرا ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله في كونها من الفاتحة بشيء انها من الاثبات والنفي مع كونه من اهل الكوفة القائلين بكونها من الفاتحة كما ذكر فظن بناء على عدم النص بشيء انها ليست من الفاتحة عنده ولهذا ذهب ملك خوارزم من الحنفية الى ان الصحيح من المذهب انها آية واحدة من القرآن ليست جزءا لشيء من السور بل انزلت للفصل بينها تبركا بها وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى فكان الفريق الاول ادعوا حكمين احدهما ملزوم للاخر وهما ان البسملات التي في اوائل من القرآن وانها جزء من كل سورة والفريق الثاني خالفوا الفريق الاول في قولهم انها من القرآن واذا لم يكن من القرآن لا يكون جزءا من شيء من السور ولي في هذا المقام شبهة وهي ان البسملة في سورة النمل من القرآن اتفاقا ومع هذا الاتفاق كيف يقال انها ليست من القرآن فان آية من القرآن او بعض آية اذا كتبت في موضع آخر من المصحف

وقد ثبت لا يخرج عن كونها من القرآن فالحق ان البسملة المكررة في السور
مثل سائر الآيات المكررة في سورة الرحمن والمرسلات وغيرهما فتكون
آية من القرآن وهذا مستلزم لكونها آية من الفاتحة لان القرآن مفصل
الى السور والسور الى الآيات فلو كانت البسملة جزءا من القرآن لكانت
جزءا من السور فتكون جزءا من الفاتحة لانها اول سورة نزلت
والاصل ان تكون البسملة جزءا منها والاحاديث المذكورة تعضده
وقال السيد المحقق في شرح المواقف في مبحث النبوات في الفصل
الثاني في شبه القادحين في اعجازه والتفصي عنها والبسملة
فالخلاف فيها محقق بلا شبهة الا انه في كونها آية من كل سورة
كما هو القول الجديد للشافعي رحمه الله او من الفاتحة فقط وفي البواقي
كتبت للتيمن كما هو قول القديم او كونها آية فردة انزلت مرة
واحدة للفصل بين السور كما اختاره الحنفية لا كونها من القرآن
في اوايل السور اذ لا خلاف فيه ومن قال به فقد توهم انتهى كلامه مدظله
والباء في بسم الله متعلقة بمحذوف تقديره باسم الله اقرأ ولم يكتب
الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها
ومعناها الاستعانة فالمعنى اقرأ مستعينا في بلوغ قراءتي درجة الكمال
وكونها معتدا بها شرعا باسم الله فان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا

مالم يصدر باسم الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه
باسم الله فهو ابتر اي مقطوع الذنب اي ناقصا غير معتد به واذا ابتداء به
كان كاتبا كاملا والمراد باسم الله تعالى اللفظ الدال عليه سواء كان لفظا
موضوعا للدلالة على الذات المقدسة كلفظ الله او على معنى وصفة
قائمة به تعالى كالرحمن ولفظ الاسم في بسم الله دال على ذات الله تعالى لانه
مرادف او المستعمل الى الاسم كما هو المقرر عند المفسرين او نقول ان تصدير
الفعل باسم الله تعالى انما يكون بذكره وذلك يقع على وجهين احدهما ان يذكر اسم
خاص من اسماء الله تعالى كلفظ الله مثلا والثاني ان يذكر لفظ دال على اسمه كما
في التسمية فان لفظ اسم مضافا الى الله يراد به اسمه تعالى وقد ذكر ههنا بلفظ
اسم لكن لا لخصوصه بل بلفظ دال عليه مطلقا فيفيد ان التبرك
او الاستعانة بجميع اسمائه فان القائل اذا قال باسم الله اقرأ فمعناه بهذا الاسم
اقرأ واذا قال بسم الله اقرأ فمعناه باسم الله تعالى اقرأ فان المقصود به
في المقام فيكون من اضافة الاسم الى المسمى واما كلمة الله فهي وسيلة الى ذكره
على وجه يوذن بجعله مبدأ للفعل فهي من تتمة ذكره على الوجه المطلقات
فبطل ما توهم من ان الابتداء بالتسمية ليس ابتداء باسم الله لان الباء و
لفظ اسم ليس شيء منها اسماله فان قلت ما فائدة لفظ اسم هلا قيل باسم الله
الرحمن الرحيم قلت فائدة ما اشرنا اليه من تعميم الاستعانة والتبرك باسمائه تعالى

وايضاً فيه تميز التيمن عن اليمن فان التيمن اما ملوث باسمه لا بذاته واليمن
انما يلوث باسمه لا بذاته لا باسمائه التي هي الفاظ والقرينة المعينة لهذا
المحذوف هو الفعل الذي تتلو البسملة ويتحقق بعدها وهو تهنا
القراءة لان الذي تتلو بسم الله الرحمن الرحيم هو الحمد لله رب العالمين
الى آخره وهو مقروء ومتلو فدل ذلك على ان المضمر اقرأ او اتلو
وكذا كل من حاول فعلا غير القراءة فسمى الله شرع فيه ويقدر من الفعل
ما يشتق من ذلك المشروع فيه كالمسافر اذا حاول النزول فقال بسم الله
كان التقدير بسم الله انزل واذا حاول الارتحال فقال بسم الله كان التقدير
بسم الله ارتحل وكذا في فطائرها وذلك ولا يجوز ان يضمر ابتدأ لان البسملة
لا تتبعها امر من جنس الابتداء ليطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة
الاضمار فيه لان التقدير ابتدأ حاصل او كائن ببسم الله وتقديم المعمول
في البسملة الواقعة في اوائل السور للاعتناء به والقصد الى التخصيص
كما في قولك اياك نعبد ولانه ادخل في التعظيم لان تقديم الاسم تعظيم
للمسمى ووافق للوجود لان اسم الله تعالى متقدم على القراءة في الوجود لتقدم
مسماه على جميع الممكنات وكم السابق في الوجود سابق وقيل الباء
للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ ولا يخفى عليك ان قولك بسم الله الرحمن الرحيم
وما بعده من الحمد لله رب العالمين الى آخر السورة مقول على السنة

العباد

العباد تعليماً لهم ليعلموا كيف يستعان ويتبرك باسمه ويحمد على نعمه
ويسئل من فضله فكأنه قال قولوا بسم الله الرحمن الرحيم الى آخر السورة
فلا يرد ان يقال كيف يصح من الله تعالى ان يقول اقرأ مستعينا او
متبركا باسم الله وانما كسرت الباء ومن حق حروف المعاني وهي التي
تدل على معنى بالاستقلال كحروف الجر والعطف وغيرهما من الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر وكل واحد منهما يناسب
الكسر اما الجر فلموافقة حركة الباء اثرها وهو الجر واما الحرفية فلاقتضائها
السكون ولما امتنع البناء على السكون من حروف المعاني التي جاءت
على حرف واحد لانها من حيث انها كلمة براءتها مظنة لوقوعها
في ابتداء الكلام وقد رفضوا الابتدا بالساكن فحقها ان تبنى على الحركة
التي هي اخت السكون في الخفة او الكسرة التي هي اخا السكون في الجر
فكسرت الباء للزوم الحرفية والجر فمجموعهما يكون علة لكسر الباء كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء
فاجريت لام الابتداء على الاصل وكسرت لام الاضافة لموافقة حركة
العامل اثره والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اواخرها
كيد ودم لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها
مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدأ وبالمتحرك يقفوا

على اسكن لانه ضد الابتداء فجعل علامة ضد علامة ويشهد له تصريفه
على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجئ سُمي كهدي لغة فيه والله
اسماك سماميارك اثرك اسم به اشار كاد القلب بعيد غير مطرد
واسْمَاءة من السمو بضم السين وكسرها دالا رتفاع سُمي به لانه رفعة
للمسمى وشعار له به يرتفع ذا وية الهي ان لا يحفل الاعتبار والوفاء
وهذه الوصفان الاسم انما يفهمان من السمو لا الوسم فانه بمعنى الشعار
لا الارتفاع كما لا يخفى والاسم عند اهل النظر من قبيل الالفاظ فعلى هذا
لا يصح قولهم الاسم عين على اطلاقه وعند العارفين عبارة عن ذات
الحق والوجود المطلق اذا اعتبرت مع صفة معينة وتجلى خاص
فالرحمن مثلا هو الذات الالهية مع صفة الرحمة والقهار مع صفة
القهر فعلى هذا الاسم هو عين المسمى بحسب التحقق والوجود وان كان
غيره بحسب التعقل والتحقيق المقام ان الاسم قد يطلق ويراد به اللفظ
كما في كتبت زيدا فيكون غير المسمى بلا نزاع لانه يتألف من اصوات
مقطعة غير قارة وتختلف باختلاف الامم والاعصار وتتعدد تارة
مع اتحاد المسمى كما في الترادف واجتماع الاسم واللقب والكنية وتتحد
اخرى مع تعدد المسمى كما في المشترك والمسمى لا يكون كذلك وقد يطلق
ويراد به المسمى كما في كتب زيد فيراد به المسمى بلا نزاع ايضا لكنه لم يشتهر

بهذا المعنى وقوله تعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ فكانه قال سبح
كل لفظ موضوع للدلالة على الله تعالى لانه يجب تنزيه ذاته وصفاته
عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث
وسوء الادب قيل اذا الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر ثم اسم السلام
عليكما ويرد عليه انه على هذا يلزم ان لا يحفل الاعتبار والوفاء
فيراد بلفظ الرب الذات فلا يلزم جواب السوال السائل الذي يسئل
ويقول ان المراد بالاسم ههنا الذات بقرينة نسبة التنزيه اليه
والوقوع في القرآن دليل الاشتهار لا يقال ان المراد بالرب عنده
ايضا اللفظ لانه على هذا يلزم من القسم الاول مع انه جعله قسيما
فالحق الاختصار في الجواب على الشق الاول كما قررناه وقد يطلق
ويراد به الصفة كما هو راى الشيخ ابي الحسن الاشعري فحينئذ يكون
منقسما انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى كالوجود الخاص
والى ما هو غيره كالايجاد والاحياء والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم
والقدرة وتلخيصه انه لا معنى للخلاف بين الاشاعرة القائلين
بان الاسم نفس المسمى وغير التسمية قال الامام التسمية عندنا
غير الاسم والدليل عليه ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين
لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه قصد الواضع واراده

و اما الاسم فهو عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق بينهما معلوم
بالضرورة انتهى كلامه والمعتزلة القائلين بان الاسم غير المسمى ونفس
التسمية لان المراد بالاسم ان كان اللفظ فلا نزاع في انه غير المسمى وان
كان الذات فلا نزاع ايضا في انه عينه وان كان الصفة فلا وجه للجزم بواحد
الطرفين بل قد يكون احدهما وقد يكون واسطة بينهما وهذا البحث
تحريري في تحريره فضلاء المتقدمين والمتاخرين فافهم ولا تكن من
الغافلين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واعلم انه كما ان ما هيات
العقلاء في ذاته وصفاته لا تحتجب بانوار العظمة تحريرا والفاظ
لفظا مع قوتها كانه انعكس اليه من تلك الانوار اشعة بهرت اعين
المستبصرين فاختلفوا فيه اعبري ام عربي فذهب بعضهم الى
الاول لان اليهود والنصارى كانوا يقولون الاها بحذف الواو
الالف الاخيرة للتخفيف كما فعلوا في النور والروح واليوم فانها
في اللغة العبرية نورا وروحا ويوما حذفت الالفات للتخفيف
وذهب الاخرون الى انه عربي وهو الحق فان ما ذكروه من توافق
اللغتين لا يدل على كون احدهما متاخرة عن الاخرى ماخوذة عنها
وان اوهم ذلك بل انما وقع لمناسبة خفية بين الاسم والمسمى
ثم اختلفوا ايضا اسم صفة ومشتق او غير مشتق علم او غير علم وما اصله

على

على تقدير اشتقاقه فقيل انه عربي وانه كان في الاصل اسم جنس ثم صار علما
وان اصله الاله وانه مشتق من الة بكسر اللام بمعنى تحير لان العقول
تتحير في معرفته لامن الة والة بفتح اللام واستالة بمعنى تعبد وعبد
واستعبد فانها مشتقة من الاله وان كان اسم عين فان الاشتقاق
قد يكون من الاعيان كما في استنوق من الناقة واستحجر من الحجر وتجسم من الجسم
فالاصل في امدهما الاله خففت الهمزة الثانية بالقاء حركتها على اللام
الساكنة قبلها وحذفت على غير القياس فصار الله ثم ادغمت اللام
الاولى والاظهر ان اصله الاله بدون الالف واللام للاتفاق على ان
الالف واللام على الاصل للتعريف والتفخيم فان تفخيمه لازم اذا انفتح
ما قبله او انضم طريق مستقيم لا خلاف فيه وقيل معرب مطلقا الا انه
يختص بالمعبود بالحق ولم يطلق على غيره لا في الاسلام ولا في الجاهلية
ولئن سلمتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بخلاف
الاله موقفا باللام فانه يقع على كل معبود سواء كان حقا او باطلا
ثم غلب هكذا موقفا باللام على المعبود بالحق فظهر الفرق بين
اسم الله والاله بعد اشتراكهما في الاختصاص بالمعبود بالحق فان
اسم الله مختص من اول الامر من اجل الاستعمال بالمعبود بالحق بخلاف
الاله هكذا موقفا باللام فانه قبل حذف الهمزة وبعده علم لذلك

الذات المعينة الا انه قيل حذف الهمزة قد يطلق على غيره كاطلاق
النجم على غير الثريا وبعده لم يطلق على غيره اصلا لانه غلب استعماله
في المعبود بالحق فخص به فلفظ الله في الاعلام بمنزلة لفظ زيد
مثلا بلا تشبيه والاله بمنزلة النجم فانه غلب على الثريا فخص به
بعد التغليب ولا يجوز حذف الالف التي قبل الهاء في لفظ الله
في النطق ويفسد به الصلوة لان قراءة الفاتحة في الصلوة فرض
وهي عبارة عن الكل وان الالف من اجزائها في النطق فينتفي النطق
بانتفائه لان الكل ينتفي بانتفاء جزء وقيل اشتقاقه من اله يفتح
اللام الهة والوهة والوهية بمعنى عبد عبادة ومنه تالّه
واستاله اي تعبد واستعبد وقد ذكرنا في بيان اشتقاقه وجوها
اخر فقيل انه من الهت الى فلان بمعنى سكنت اليه لان
القلوب تطمئن بذكره الا بذكر الله تطمئن القلوب او من
اله اذا فزع من امر نزل عليه والله غيره اذا اجاره اي خلصه
عما يخافه واذا رغب عنه فالهمزة للسلب وانما قيل انه مشتق منه لان
العابد يفزع اليه حقيقة حقا كان او باطلا فلون الالهة بمعنى المفزع و
الملجاء وانه يجب العابد حقيقة ان كان الها حقا او بزعمه ان كان
باطلا فلون بمعنى المأوى من او من آله الفصيل اذا التجاء الى امه

اذا

اذا العباد مجبولون اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط
عقله كان اصلها ولاها فقلبت الواو همزة لاشتغال الكلمة عليها
استثقال الضمة في وجوه فقيل له كاعاء واشاح ويرده الجمع
على الهة لان جمع التكسير يرد الصيغة الى اصلها ولو كان
الاصل ولاه لجمع على اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه لَيْهًا
ولاها اذا احتجب لانه مقال محتجب عن ادراك الابصار او ربع
لانه مرتفع على كل شيء ومنزه عما لا يليق به فادخلت عليه الالف
واللام للتعريف والتفخيم والتعظيم بهذا فعلم مما قررنا ان الاقوال
في لفظ الجلالة اربعة القول الاول انه اسم عربي مشتق صار علما بالغلبة
واصحاب هذا القول سبعة كما بيناها والقول الثاني انه اسم عربي
غير مشتق وليس له اصل لان الاشتقاق تقتضي سبق المشتق منه وهو
يستلزم حدوث اسمائه تعالى وهذا هو مذهب الخليل والزجاج
واختاره الامام والنيسابوري ونسباه الى سيبويه والاصوليين
والفقهاء فقالوا ان الله غير مشتق البتة وانه علم ابتداء لذاته
المخصوصة من غير اشتقاق وملاحظة معنى من المعاني المذكورة فيه لانه يوصف
ولا يوصف به فيقال الله الحي القيوم ولا يقال الحي القيوم الله
ولانه لا يبدل مما اسم لجري عليه صفاته واليه اشار من قال من العلماء اذا

اذا كان الله صفة وساير اسمائه صفات يلزم ان الوب لم يسم
شيئ من الاشياء المعتبرة الاسمة باسم ولم تسم خالق الاشياء ومبدعها
وهذا محال ولا يصلح مما يطلق عليه سواه لعدم ظهوره في الوصفية
فيه بخلاف سايرالاسماء الحسنى فانها صفات مشعرة بلا خلاف
ولانه لو كان وصفا لكان كليا لان مفهوم الصفة شئ ما حاصل
لمتعلق منه ويلزم منه ان لا يكون قولنا لا اله الا الله توحيدا مثل
لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة لان معناه البالغ في الرحمة
واللازم باطل للاجماع على انه توحيد فالملزوم مثله والقول
الثالث ما ذهب اليه بعض العلماء الفلاسفة واختاره العلامة المحرر
عامله الله بلطفه الخطير البيضاوي وبينه قبل اقامة الدليل عليه لحث
يندفع به في طي الوجوه الثلاثة المذكورة في اثبات العلمية فقال
والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه لحث لا يستعمل
في غيره وصار كالعلم لمثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء
الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة
اليه انتهى فاندفع بقوله في اجراء الوجه الثاني منها وبقوله وامتناع
الخ الوجه الاول منها وبقوله وعدم تطرق الخ الوجه الثالث
ويمكن الجواب بانه اذا كان الله في الاصل وصفا ثم عرض له من الاسمية

بالغلبة

بالغلبة لم يكن الله تعالى في اصل وضعه قبل التغليب اسم يجري عليه
صفاته بل الى عروض الغلبة وهو ظاهر لزوما وفسادا هذا مع ان التغليب
المحقق انما وقع عند من يقول به في الاله معرفا باللام لانه اصله هو
اسم مختص له تعالى كما قررناه وقرره المحقق الشريف قدس سره في حاشيته
على الكشاف بانه يلزم ان لا يكون قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد
قبل التغليب واللازم باطل للاجماع على انه كلمة توحيد ازلا وابدا
ثم شرع في ادلة هذا المذهب فقال لان دلالته مع حيث هو بلا اعتبار
امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ
ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله
في السموات معنى صحيحا وفيه بحث اما على دليله الاول فلان تعقل
الذات بوصف مستفاد من الآثار الدالة على ان لها مؤثرا كاف في الصنع
يكفي في وضع الاسم بازائها وفي فهم المسمى بالنسبة الى العالم بالوضع
ولا يلزم ان يكون ذلك الاسم مشتملا على ذلك الوصف والاعلم
قال بعض المحققين لجواز ان يكون الله علما فانه علم للمعبود بالحق
وهو مختص بشخص معين او المتصف بجميع صفات الكمال وهو
ايضا مخصوص وكلامه حق لان واضع الاعلام لا حاجة له الى معرفة
الموضوع له بكنهه وملاحظته بشخصه وكنهه بل يكفي معرفته وملاحظته على وجه

يخص ذلك لوجه في الخارج فيه قال المحقق الشريف العلامة في شرح
المواقف من ذهب الى جواز تعقل ذاته تعالى جوز ان يكون له اسم لهذه الحصة
المخصوصة ومن ذهب الى امتناع تعقل ذاته تعالى جوز ان يكون له اسم لهذه
لم يجوز لان وضع الاسم لمعنى فرع تعقله ووسيلة لافهامه فاذا لم يمكن
ان يعقل ويفهم فلا يتصور ان يوضع له اسم بازائه وفيه بحث لان الخلاف
في تعقل كنه ذاته ووضع الاسم بازائه لا يتوقف عليه اذ يجوز ان يعقل
ذات بوجه من الوجوه ويوضع الاسم لخصوصها ويقصد تفهيمها باعتبار
ما لا يكنهها ويكون ذلك الوجه مصححا للوضع وخارجا عن مفهوم الاسم على
ما عرف ان لفظ الله اسم علم له موضوع لذاته من غير اعتبار فيه انتهى كلام
ولو سلم انه يستحيل ان يضع البشر له على قبل تعقله بالكنه ولكن لم لا يجوز
ان يسمي الحق نفسه باسم يدل على ذاته تعالى بالمطابقة كلفظ الله ثم يعرفنا
ذلك ويرشدنا اليه فعلى هذه الاحتمالات كلها كيف حكم رحمه الله بسلب
امكان ان يدل عليه بلفظ واما في دلالة التالي فلان صحة معنى الآية كما تكون
بتعلقه بلفظ الله مع صيرورته علما بعد الاعلال باعتبار تضمنه معنى المعبودية
باعتبار وصفه تكون بتعلقه به باعتبار تضمنه معنى المعبودية لاشتهاره
بها في ضمن هذا العلم على انه يحتمل ان يجعل الظرف معلقا بعلم وتكون
الجملة خبرا ثانيا او تكون الجملة هي الخبر والله بدل كما ذهب اليه بعض المفسرين

وقال

وقال بعضهم الجار والمجرور متعلق بمقدر مثل المعبود فيكون تقدير الآية
وهو الله المعبود في السموات وفي الارض فعلى هذا الآية محتملة لما
ادعاه وغيره والمحتمل غير منصوص فلا يثبت بها المدعى فعلم مما قررنا
ان المختار هو ان يكون الله علما لذاته الواجب وجوده ابتداء بلا اشتقاق
فيه ولا اجذ من شيء ويلاسم هذا المذهب ما ذكره بعض العارفين من ان
اسم الذات الالهة من حيث هي هي على الاطلاق لا باعتبار اتصافها
بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها والقول الرابع انه ليس بعربي بل
سرياني سواء اصله لاها فعرب بحذف الالف الاخيرة ادخال الالف
واللام عليه كتعريف والتفخيم كما ذكرناه اولا والوقف على بسم الله
فتح كفصل من التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وعلى الرحيم تام
الرحمن فعلان من رحم كغضبان من غضب على انه صفة مشبهة
وطريق بنائها من الفعل المتعدي ان يجعل الفعل المتعدي لازما فينقل
الى فعل بضم العين المختص بالغرائز ثم تشتق منه الصفة المشبهة فيكون
الصفة المبنية منه دالة على المبالغة في اتصاف الذات بما قام به من حيث
كونه امرا مستمرا دائم الثبوت واما الرحيم فان جعل صيغة مبالغة
كما نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلان فلا اشكال وان جعل من الصفات
المشبهة كما يشعر به كلام الكشاف فالوجه فيه ما ذكرناه في رحمن والرحمة

في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان وهي من
الكيفيات النابية للذات والله سبحانه وتعالى منزه عنها فاطلاقها عليه انما هو
باعتبار الغايات التي هي افعال تصح صدورها عنه تعالى دون المبادي التي هي
انفعالات فلا يراد بها انه رقيق القلب بل انه المحسن المتفضل بالاختيار
وهو مسبب عن رقة القلب فيكون مجازا مرسلا من باب اطلاق السبب
على المسبب وفي الرحمن زيادة مبالغة من الرحيم لزيادة البناء فان كثرة المباني
تدل على كثرة المعاني اذا كان اللفظان من نوع واحد كما في قطع وقطع
وكبار وكبار قال في الصحاح كبر بالضم عظم فهو كبير وكبار فان افرط قيل
كبار بالتشديد فلا يرد لجذر وحاذر لانهما نوعان فان الاول صفة مشبهة
والثاني اسم فاعل وتلك الزيادة تؤخذ تارة باعتبار الزيادة في الكم والعدد
اما في عدد المنعم عليهم فقيل يا رحمن الدنيا لان النعم الدنيوية اوفى عدد النعم
وتارة باعتبار كيف وصف المنعم فمعنى اعتبار الزيادة في المنعم عليهم فقيل يا رحمن
الدنيا لان النعم الدنيوية تعم المؤمن والكافر فيكثر افراد مدلوله المتضمن
وهو الرحمة وهي ترك عقوبة من يستحقها وارادة الخير للمرحوم وعلى اعتبار
قلة المنعم عليهم في الرحيم قيل يا رحيم الاخرة لان النعم الاخروية تختص بالمؤمن
فقيل افراده وعلى اعتبار وصف المنعم قيل في الاثر يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم
الدنيا لان النعم الاخروية كلها عظام فيناسب تخصيص الرحمن بها

واما النعم الدنيوية فجليلة بعضها لانه يتوسل بها الى السعادة الابدية فيناسبها
ذكر الرحمن وحقيرة بعضها فيناسبها ذكر الرحيم واما ما ورد في الدعاء اللهم
يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما فكونه رحمانهما باعتبار الكيفية لان جلائل
النعم توجد في الدارين على ما قلنا واما كونه رحيمهما فباعتبار الكمية والكيفية
لان رحيم الدنيا باعتبار الكيفية اي حقارة بعض نعمها ورحيم الاخرة باعتبار
الكمية اي قلة المنعم عليه فيها من حيث اختصاص نعمها بالمؤمن وقال
بعضهم الرحمن فعلان يدل على عظم صفة الرحمة فان غضبان هو ممتلئ غضبا
والرحيم على وزن فعيل يدل على دوام ذلك الوصف فان قولك سميع
بصير هو فوق قولك سامع باصر فدلت الكلمتان على عظم هذه الصفة
ودوامها وتقديم الرحمن مع كون القياس تأخيره رعاية لاسلوب
الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض
لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به
تعالى وانما اختص به بين سائر الصفات حتى صار كالعلم مرجبا
انه لا يوصف به غيره الا تعنتا وعنادا كما في رحمن اليمامة فان
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره
تعالى فان غيره لا يقدر على شيء من هذه النعم الجسام وان قدر على شيء
مما سمي نعما فانما فلا يكون صدوره كذلك منه على طريق الحقيقة

اللطف ومحض الجود والكرم بلا طلب عوض في مقابلة لطف وانعام على غيره
بل لطلب العوض بها وذلك العوض اما جزيل الثواب فزائد في العقبى
او جميل الثناء من الخلق في الدنيا او ازالة الرقة القلبية ان شيء من التي نفس
بينه وبين المنعم عليه او ازالة عار حبت المال عن القلب ثم ان غيره تعالى
كالوسائط في اللطف والانعام لان ذات المنعم ووجودها والقدرة على
ايصالها الى مستحقها والداعية التي حملته على ايصالها اليه والتمكن من
الانتفاع بها والقوى التي يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه تعالى لا يقدر
عليها احد غيره فثبت انه لا يستحق المنعم الحقيقي على غيره تعالى او لاختياره
طريق التعميم لا الترقي لان التفت بالقصد الاول في مقام التعظيم والكبرياء
جلائل النعم وعظايمها دون دقايقها فلذلك قدم الرحمن واردف بالرحيم
كالتتمة تنبيها على ان الكل منه تعالى وان عنايته شاملة لذرات الوجود كيلا
يتوهم ان محقرات النعم لا تليق بجنابه فلا يطلب منه بابه واختلف في
منع صرف رحمن اذ ليس له مونث على فعلى كعطشى ولا على فعلانة كندمانة
فمن شرط في منع صرف فعلان صفة وجود فعلى صرفه ومن شرط فيه انتفاء
فعلانة لم يصرفه لان الاختصاص به تعالى منوع ان يكون له مونث
على فعلى او فعلانة واذا سقط الدليلان للتعارض فللصرف وجه وهو
ان الاصل في الاسماء الصرف وهذا هو الظاهر ولمنع الصرف وجه وهو

الملتقطة

ان

ان يلحق باخواته مما بابه فان الاكثر والغالب في باب فعل بالكسر ان يكون
غير منصرف كسكران وغضبان وعطشان وغرثان بمعنى
مونثه على فعلى فتنزل رحمن منزلة ما مونثه فعلى وهذا اظهر من
الاول لان الالحاق بما هو الاصل مما نوعه اظهر من الالحاق بما هو الاصل
مما نوعه اظهر من الالحاق بما هو الاصل في جنب البعيد الحمد لله
الحمد لغة هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم
سواء تعلق بالفضايل التي هي المزايا الغير المتعدية او بالفواضل
التي هي المزايا المتعدية وعرفا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لكونه منعما
على الحامد او غيره فيتناول القول والفعل واعلم ان القول المخصوص
ليس حمدا بالخصوصية بل لانه دال على صفة الكمال ومظهر لها ومن ثم قال
بعض المحققين من الصوفية وهو حقيقة الحمد اظهار الصفات الكمالية
وذلك قد يكون بالقول كما عرفت وقد يكون بالفعل وهو اقوى منه بالقول
لان الافعال التي هي آثار الصناعة مثلا تدل عليها دلالة عقلية قطعية
لا تتصور فيها تخلف بخلاف الاقوال فان دلالتها عليها وضعية وقد
يتخلف عنها مدلولها ومن هذا القبيل حمد الله وثناؤه على ذاته وذلك
انه تعالى حين بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى ووضع عليه
موائد كرمه التي لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله واظهرها بدلالات
قطعية تفصيلية غير متناهية فان كل ذرة من ذرات الوجود يدل عليها

وهو بالفعل

ولا تتصور في العبارات مثل هذه الدلالات ومن ثم قال عليه الصلوة
والسلام لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك والشكر لغة
هو العرف الحمد عرفا وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من السمع
وغيره الى ما خلق لاجله فالشكر بالقلب ان يعتقد الاتفاق المنعم وصفا
الكمال وانه ولي النعم وبالسان كان يثني عليه وبالجوارح ان يعد
نفسه في طاعته وانقياده والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا اي اختيارا
او غيره يقول حمدت زيدا على كرمه ولا يقول حمدته على حسنه للون
الحسن غير اختياري اذا عرفت هذا فاعلم ان مورد الحمد اللغوي اللون
الا اللسان لقوله تعالى قالوا الحمد لله والقول لا يكون الا باللسان
ومتعلقه يكون النعمة كقوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
وغيرها نحو الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك فالحمد
اللغوي اعم مطلقا من الشكر اللغوي والحمد اللغوي باعتبار المتعلق
المتعلق واخص مطلقا باعتبار الموردية ما بالعكس وتتفرع
على هذه النسبة بين نفس الحمد اللغوي والشكر الذي هو الحمد اللغوي فانهما
يكون بطريق العموم من وجه لصدقهما في الثناء بالسان في مقابلة
النعمة وانفراد الحمد اللغوي لصدقه بذلك في غيرها وانفراد الشكر اللغوي
لصدقه بغير اللسان واما النسبة بين الحمد اللغوي مطلق التصادقهما في
الافعال الاختيارية وانفراد المدح اذا كان الممدوح عليه غير اختياري

كقولك مدحت اللؤلؤة على صفائها ولا يقال حمدتها على ذلك و
بين الشكر اللغوي والمدح فعموم من وجه لتصادقهما في الشكر
باللسان في مقابلة النعمة وانفراد المدح في غير مقابلتها وانفراد
الشكر فيما اذا كان بغير اللسان وقال الزمخشري في الكشاف ان
الحمد والمدح اخوان قال السعد التفتازاني من الشايع في كتبه انه
يريد بكونهما اخوين ان بينهما اشتقاقا كبيرا بان يشتركا
في الحروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح او اكبر
بان يشتركا في اكثر الحروف فقط كالفلق والفلج والفلذ مع اتحاد
في المعنى او تناسب فمجرد كون الحمد والمدح اخوين لا يدل على تزادفهما
انتهى ولكن سوق كلامه هذا وصريح كلامه في الفايق يدل على ذلك
قال في الفايق الحمد هو المدح والوصف بالجميل وجعل ههنا نقيض
المدح اعني الذم نقيضا للحمد واما الشكر العرفي فهو اخص مطلقا
من الحمد اللغوي لانه كلما صدق صدق الحمد اللغوي من غير عكس لانه
اذا صرف العبد جميع ما انعم الله عليه فيما خلق لاجله فقد صرف
لسانه ايضا بالثناء على الله تعالى وليس كلما اثنى على الله بلسانه فقط
فقد صرف جميع ما انعم الله تعالى اليه الى ما خلق له واخص مطلقا
من الحمد العرفي الذي هو الشكر اللغوي لتصادقهما معه اذا
كان صرف العبد جميع ما انعم الله عليه في مقابلة النعمة وانفراد

الحمد اللغوي فيما اذا حمد الله تعالى وشكره في مقابلة النعم لكن بعض الجوارح
النعم واختص مطلق الحمد لانه كلما وجد الشكر اللغوي وجد الحمد
ايضا من غير عكس فان الحمد لا يلزم الا بالسان ولا لحاج الى صرف جميع
ما انعم الله به الى ما خلق له فتامل فلما كان الحمد جزءا من اجزاء الشكر
الاصطلاحي اشيع للنعم واذل على مكانها جعل راس الشكر اللغوي
والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده لان
الشكر صرف العبد جميع ما انعم الله عليه لاجل ما خلق له فيتنفي هذا
المجموع بانتفاء جزئه الذي هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري الخ
فلا حاجة الى ان يراد بالشكر في الحديث الشكر اللغوي حتى يحتاج في
تصحيح معناه الى التكلف كما قيل وهذا الحديث باسناده رواه البغوي
في سورة بني اسرائيل وانما كان اشيع واذل لان العبد اذا لم يوقف
بانعام المولى ولم يثني عليه بما يدل على تعظيمه لم يظهر منه شكر ظهورا
كاملا وان اعتقد وعمل فلم يعد شاكرا لان حقيقة الشكر اظهار النعمة و
والكشف عنها كما ان كفرانها اخفاؤها وسترها والاعتقاد امر
خفي في نفسه وعمل الجوارح وان كان ظاهرا الا انه لحتمل خلاف ما قصد به فانك
اذا رايت تعظيما لاحد احتمل القيام لامر آخر بخلاف النطق فانه ظاهر
في نفسه ومعين لما اريد به وضعا فهو الذي يفصح عن كل خفي فلا خفاء فيه
ويجلي عن كل مشتبه فلا احتمال له وكما ان الراس اظهر الاعضاء واعلاها

وعمدة

وعمدة لبقائها كذلك الحمد اظهر اجزاء الشكر واشملها على حقيقته حتى اذا فقد
كان ما عداه بمنزلة العدم لان الكل ينتفي بانتفاء الجزء اي جزء كان وانتفاؤه
بانتفاء اعظم الاجزاء بطريق الاولى فتامل ورفعه بالابتداء وخبره لله
واصل النصب باضمار فعل تقديره نحمد الله الحمد ليوافق اياك نعبد
واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل وقد قرئ به واعدل عنه الى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته لذوي الحمد وحدوثه ولا يخفى عليك انه اذا خص
الحمد الجميل الاختياري لزم ان لا يحمد الله تعالى على صفاته الذاتية كالعلم
والقدرة والارادة بل اختص بافعاله الصادرة عنه باختياره اللهم الا
ان يجعل تلك الصفات ملزومة ذاته كافية فيها بمنزلة افعال اختيارية يستدل
بها فاعلها واللام فيه لتعريف الجنس وهو الاشارة الى ما يعرفه كل احد من
معنى الحمد فيمكن ان يقصد به جنس الحمد من حيث هو كما اختاره صاحب الكشاف
بناء على ان اختصاص الحمد بالنوع مستفاد من جوهر الكلام من غير استعانة
بالامور الخارجية وبالنوع مستلزم للاختصاص بجميع الافراد وان يقصد
به الجنس من حيث تحققه في ضمن جميع الافراد كما اختاره صاحب المفتاح
بناء على ان المتبادر الى الذهن من المحلى باللام الجنس في المقامات
الخطابية هو الاستغراق وهو الشايع في الاستعمال وح يلزم اختصاص
الافراد ممن حاز به اختص جنس الحمد وجميع افراد الحمد به تعالى لانه ما من خير
الا وهو مولية بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله

قال الامام الرازی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال اذا انعم الله تعالی
علی عبده نعمة فیقول العبد الحمد لله فیقول الله تعالی انظروا الی عبدی
اعطیته مالا قدر له واعطانی ما لا قیمة له وتفسیره ان ذلک الذی
انعم الله تعالی به علی العبد کان احد الاشیاء المعتادة مثل ان کان جائعا
فاطعمه او کان عطشانا فاراواه واذا قال العبد فی مقابلة الحمد کان
معناه ان کل حمد لای واحد من الحامدین اولم یات به احد منهم ولکن امکن
فی حکم العقل دخوله فی الوجود فهو لله تعالی وذلک یدخل فیه جمیع افراد
الحامد التی ذکره جمیع المخلوقات والتی سیذکرونها الی یوم الدین
ثم ان جمیع هذه الحامد متناهیة انما الحامد التی لا نهایة لها التی سیاتون
بها ابد الابدین ودهر الداهرین قال الله تعالی دعویهم فیها سبحانک
اللهم وتحیتهم فیها سلام واخر دعویهم ان الحمد لله رب العالمین وکل
هذه الاقسام التی لا نهایة لها داخل تحت قول العبد الحمد لله رب العالمین
فلهذا السبب قال الله تعالی انظروا الی عبدی قد اعطیته نعمة واحدة
لا قدر لها فاعطانی مراتب الشکر لا احد له ولا نهایة ثم قال الامام اقول تحقیقا
دقیقة اخری وهی ان نعم الله تعالی علی العبد فی الدنیا متناهیة وقول
العبد الحمد لله حمد غیر متناه ومعلوم ان غیر المتناهی اذا اسقط منه
المتناهی بقی الباقی غیر متناه فکانه تعالی یقول عبدی اذا قلت
الحمد لله فی مقابلة تلک النعم طاعات فالذی بقی لک من تلک النعم طاعات

غیر

غیر متناهیة فلا بد من مقابلتها بثواب غیر متناهیة فلهذا السبب
یستحق العبد الثواب الابدی والجزاء السرمدی فثبت ان قول
العبد الحمد لله توجب سعادة لا آخر لها وخیرا لا نهایة له فان قلت
کیف یصح تخصیص الجنس او افراده والحال ان قوله الحمد لله کان فی
الاصل احمد الله حمدا او نحمده حمدا فلا یفید المراد الا الحمد المستند الی المتکلم
الواحد ومع الغیر فبعد افاده الکلام التخصص لا یفید الا تخصص
الحمد المخصوص لا مطلقا قلت کما انه صورة الرفع یحمد الکلام عن
الحدوث والحدوث کذلک یتحمد عن النسبة الی الفاعل المحذوف وایضا یمکن
ان یقال صدور الکلام مع الغیر بالنسبة الی جمیع الحامدین حقا وخلقا
ثم انه یمکن ان لا یراد بالحمد الحامدیة والمحمودیة جمیعا بناء علی انه مشترک
معنوی فانه فعل واحد بین الحامد والمحمود واذا اعتبرت نسبته الی الحامد
یکون حامدیة واذا اعتبرت الی المحمود یکون محمودیة او لفظی ویجوز استعمال
المشترک فی معنییه او معانیه عند بعض وفی اختصاص الحمد لله تعالی اشعار
بانه حیی قادر مرید عالم لان مرجع جمیع الحامد فهو متجد کل نعمة ومن کان
کذلک یجب ان یکون متصفا بما ذکر لان الحمد یقتضی محمودا علیه اختیاریا
والفعل الاختیاری لا یصور حقیقة الا عن الموصوف بتلک الصفات
وقری الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعکس والقراءات الاولی ضعیفة

لان فيها ابطال الاعراب والعكس اليسير من الاول لعدم ابطاله فيه
تنزيلا للمباح حيث انها استقلالا مع ما منزله كلمة واحدة رب العالمين
بالجر على انه صفة الله تعالى فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل
حال صرح بعضهم اراده الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بفعل دل عليه
الحمد السابقة كانه قيل يحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد
لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول
بالجر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى الكمال
شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة
من ربه يربه فهو رب بعد جعله لازما سهله الافعل بضم العين كما هو
المشهور كقولك ثم نعم فنوم ثم الحديث اى نشره سمي به المالك
لانه يحفظ ما يملكه ويربيه فعلى هذا يكون قوله تعالى مالك يوم الدين
تخصيصا بعد تعميم فيفيد زيادة الاهتمام بتلك الصفة وعلى ما ذكرنا من
كون الرب مصدرا يكون للافادة فيطلق على المربي والمصلح ومنه
الربانيون وهم العلماء المصلحون امور الناس بعلمهم والسيد والمالك
والخالق والمعبود وكل ذلك محتمل المقام فصح ان يراد به ههنا
كل منها ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام
اما احد كما فيسقي ربه خمرا واراد به ملك مصر ثم قال اذكرني عند

ربك ثم قال ارجع الى ربك اى سيدك وقد يقران مالك في الآية السابقة شرعنا اذ اقصد الله تعالى او رسوله بلا انكار الا اذا اورد مقطع
بالتي لف وما رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ولا يقل احدكم ربي
وليقل سيدي فقيل انه نهي تنزيه فلا يدل على عدم الجواز قال ابن عباس
رضي رب العالمين اى سيد العالمين كما يقال رب الدار اى مالكها وقال
صلى الله عليه وسلم لرجل ربت ابلا انت ام رب مال وغنم قال من كل اتاني
الله تعالى وكر هذا الحديث البيضاوي في تفسيره فعلم ان الرب لا يطلق
على غيره الا مقيدا واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز
في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الآية
ثم ان تربيته تعالى عمت الخالقية والمالكية والسيدية عامة وبعض المربي
والمصلح خاصة بحسب انواع الموجودات معاده فهو مصلح امورهم
ومهد معاشهم ومعادهم اصلح قلوب المؤمنين بالمعرفة والستهم بالشهادة
وانفسهم بالخدمة واصلح طاعتهم على كثرة تقصيرهم فيها بالقبول واصلح
معاصيهم على كثرتها بالفضل والعفو قال الله تعالى نصلح لكم اعمالكم فهو مربي
الارواح بانواع النور والاشباح باصناف كرمه ومربي نفوس العامة من الخاص
الله نور قلوب العارفين بآداب الطريقة واسرار الاسرار بانوار الحضرة

وعن ابن عباس وابي الدرداء رضه قالا هو اسم الله الاعظم واشار الخضر عليه
السلام في المسجد الحرام في حكايته فانه قال اسم الله الاعظم هو ما دعا به كل نبي
وكل ولي وكل عدو واشار للادعوات الانبياء ربنا ظلمنا ربنا اني دعوت
قومي وغيرها حتى عد جميع الدعوات التي اولها لفظ الرب ودعوات
الصحابة الاربعة ربنا ما خلقت هذا باطلا ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته ربنا انا سمعنا منادي ربنا وانا ما وعدتنا على رسلك ودعوات
الاعداء رب انظرني الى يوم يبعثون وغيرهم ادعيتهم ولما كان الله
احسن الاسماء علقه بالمحل الصفات وهو رب العالمين ادمناه الحقيقة
ان وجود ما سواه فايض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فان المولى
قسمان احدهما ان يربي ليربح عليهم والثاني يربي ليربحوا عليه والاول شان
المخلوقين الذين عرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او نصب
او جلب نفع او دفع ضر والله ذات الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقكم
لنربحوا على لا لاربح عليكم ثم انه تعالى يملك عباده غيره كما قال وما يعلم
جنود ربك الا هو انت ليس لك رب سواه ثم انك تستحيل في عبادته
كان لك ربا غيره والعالم اسم لما يحصل به العلم بالشيء كالخاتم اسم لما
او غيره كما ان الخاتم اسم لما يختم به غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل
ما سواه من اجناس الممكنات وانواعها واشخاصها من حيث ان وجود

كل

كل واحد منها يدل على وجوده تعالى فهو اسم للقدر المشترك بين اجناس
ما سوى الله وبين مجموعها فصح اطلاقه على كل واحد منها من ملك الاجناس
كما يقال عالم الافلاك وعالم العناصر الى غير ذلك على مجموعها ايضا فيقال
العالم لجميع اجزائه محدث وما سوى الله ينقسم بالقسمة الاولى الى ثلاثة اقسام
المتحيز فقط والحال في المتحيز والا لا في متحيز ولا حال في المحل فالقسم
الاول اما ان يكون قابلا للقسمة او لا يكون فان كان قابلا للقسمة فهو الجسم
والا فهو الجوهر الفرد ثم الجسم اما ان يكون من الاجسام العلوية كالافلاك
والكواكب والعرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة او
من الاجسام السفلية وهي ما بسيط كالعناصر الاربعة او مركبة
كالمعادن والنبات والحيوان والقسم الثاني هو الاعراض والقسم الثالث
هو الارواح وهي اما سفلية او علوية اما السفلية فهي اما خيرة وهم
صالحوا الجن واما شريرة خبيثية وهي مردة الشياطين والارواح العلوية
اما متعلقة بالاجسام وهي الارواح الفلكية واما غير متعلقة بها وهي الارواح
المقدسة هذا تقسيم اجمالي للعالم وقد ثبت ان كل ما سوى الواجب
تعالى ممكن لذاته وان كل ممكن كما يحتاج في ابتداء وجوده الى واجب
الوجود لذاته حتى يوجده يحتاج في بقائه اليه حتى يبقيه فالله عز وجل
اله العالمين من حيث انه هو الذي اخرجهم من العدم الى الوجود وهو ايضا

رب العالمين من حيث انه هو الذى يقيمهم حال دوامهم واستمرارهم
اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله
رب العالمين قال لا الخلق كلهم السموات كلهن ومن فيهن والارضون
كلهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم وقيل العالم اسم لذوى
العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل
اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر
ما فى العالم الكبير وهو ما سوى الله تعالى من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع
كما يعلم بما ابدعه فى العالم وذلك سوى النظر فيهما وقال الله تعالى وفى الارض
ايات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون وانما جمع صيغة الجمع ليساعد شمول
ربوبيته تعالى لجمع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها
اذ لو افرد لما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هى او استغراق
افراد جنس واحد كعالم الشهادة مثلا وانى يصح قصد استغراق الافراد مع انه
لا يصح اطلاق العالم على كل فرد بناء على تنزله منزلة الجمع ومن ثم قيل هو جمع
لا واحد له فكما ان الجمع اذا عرف باستغراق احاد مفردة ولم يكن صادقا عليها
كذلك العالم اذا عرف باستغراق افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كما انها
احاد مفرده المقدر وعلى هذا فالعالمون بمنزلة جمع الجمع كما ان لفظ الاقاويل
يتناول كل واحد من الاقوال كذلك العالمون يتناول كل واحد من احاد الاجناس

المسماه بتخليص قوله زاده انه لما قصد شمول الاجناس وشمول افرادها مبالغة
اختير لفظ ينبئ عن تناول المتعدد بوجهين فجعل الجمعية لشمول الاجناس
بمساعدة التعريف وجعل التعريف لشمول الافراد بمعونة المقام وانما
جمع جمع القلة مع ان المقام يستدعى الانباء بجمع الكثرة بتنبيهك على انهم و
ان كثروا واقلعوا فى جنب عظمة الخالق وفى الحلية عن
وهب قال ان الله عز وجل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد
قال كعب الاخبار لا يحصى عدد العالمين احد الا الله وما يعلم جنود ربك
الا هو قال قيل الجمع بعضهم باتفاق الافراد فى الحقيقة وهى ههنا مختلفة
قلت هى مختلفة من حيث ان كلا منها عالم يعلم به الصانع والاختلاف انما عرض
بواسطة اضافتها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات
العقلاء وما مع حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب
العقلاء على غيرهم وفى قوله رب العالمين دليل على ان الممكنات كما هى
مفتقرة فى الحدوث حال حدوثها فهى مفتقرة فى البقاء حال بقائها وقال
بعض العارفين يمكن ان يجعل جمعه بالواو والنون اشارة الى سريان الصفات
الكمالية من الحيوة والعلم وغيرهما فى كل موجود من الموجودات فالكل من
اولى العلم كما كوشف به الخواص الرحمن الرحيم قدم تقريرها وكررها
تعليلا لكونه مستحقا للحمد كما ان الواقع فى البسملة تعليل للاستعانة باسمه
فى قوله قرائته معتدا بها شرعا ولم يكرره على طبق ما وقع فى بسم الله بان الافضل

بينهما وبين الله تجاوز اذا كرر بقدر الامكان ورعايته لما يقتضيه حسن
البيان لانها كمقسم للربوبية وتقديم رب العالمين كتقديم المقسم
او كمفصل للمجمل وتقديمه كتقديم المجمل على المفصل وفي كتاب جواهر القرآن
للحجة الاسلام رحمه الله ان قوله تعالى الرحمن الرحيم اشارة الى الصفة مرة اخرى
ولا تظنن انه مكرر فلا مكرر في القرآن اذ هو المكرر ما لا ينطوي على مزيد
فايدة وذكره الرحمن بعد ذكر العالمين وقبل ذكره ملك يوم الدين ينطوي
على فايدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة احدهما مضاف الى الرحمة
في خلق العالمين وانه خلقها على اكمل انواعها واوفقها وآتى كل احد حاجته
اليه وشرح ذلك يطول والاخرى منهما تشير الى الرحمة في المعاد يوم الجزاء
عند الانعام بالملك المؤبد في مقابلة كل عمل وعبادة وشرح ذلك ايضا يطول
والمقصود انه لا مكرر في القرآن فان رأيت شيئا مكررا من حيث الظاهر
فانظر الى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد فايدة في اعادته ودعا
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة علم مما ذكرته
حيث قرن الرحمن برب العالمين المشير الى المبداء والرحيم بملك يوم الدين
المشير الى المعاد وقال النيسابوري في تفسيره وذكر الرحمن الرحيم مرة في
التسمية ومرة ههنا دليل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف
ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين كيلا تعتمد عليها وتنظره غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب مالك يوم الدين قراعاصم

والكسائي ويعقوب هكذا بالالف واحتجوا عليه بوجوه
الاول ان فيه حرفا زايدا فيلزم اكثر قوا بالقوا النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ القرآن كتب له بكل حرف عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت
ورفعت له عشر درجات الثاني ان في يوم القيمة مملوك ولا مالك
الا الله فيعضد هذه القراءة قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله فانه لما نفى ما لكية نفس لنفس على سبيل العموم
فهذا المعنى هو مالك يوم الدين واثبت بالالف قوله والامر والام
في قوله لله ان جميع الامور مملوكة لله تعالى العموم ايضا فظهر ان المراد بالام
الملك فيلزم هو المالك يوم الدين الثالث المالكية اكثر منه في الملكية
بسبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك لان العبد وان
حاز الرعية فيلزم القهر في المالكية اكثر منه في الملكية الخامس
الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك بالاختيار بخلاف
المملوك السادس الملك يحب عليه رعاية حال الرعية كلكم راع
وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك واما المملوك
فيجب عليه خدمة مالكه ولا يستقل في امر الا باذنه السابع انه تعالى اذا قال
في الفاتحة مالك وفي الخاتمة ملك الناس علمنا انه مالك وملك فله
التصرف مطلقا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقرا الباقون ملك
بدون الالف واستدلوا عليه بوجوه ثمانية الاول ما قراه اهل الحرمين

وهم اولى الناس ان تقرا القرآن كما انزل وقراءتهم الاعلى رواية
وفصاحة وقد وافقهم قراءة البصرة والشام وحمزة من الكوفيين والتاء
ان الآية بهذه القراءة تكون مناسبا لقوله تعالى لمن الملك من حيث
اشتراكهما في الدلالة على انه تعالى وصف ذاته بانه الملك يوم القيمة والقرآن
يتناسب معانيه في المواردة ولقوله ملك الناس فانه لما تدرج في خاتمة
الكتاب من وصفه بالربوبية الى وصفه بالملكية ناسب ان يكون فاتحة
كذلك والثالث ان الملك ادل على التعظيم بالنسبة الى المالك لان
التصرف في العقلاء المأمورين بالامور والنهي ارفع واشرف
من التصرف في الاعيان المملوكة التي اشرفها العبيد والاماء فان كل
واحد من اهل البلد يجوز ان يكون مالكا واما الملك فلا يكون الا اعظم
الناس واعلاهم فقراءة المالك ارجح من قراءة الملك لان اقصى
ما ترجى من الملك العدل والانصاف وان يتجاوز ذلك كثيرا واما
المالك يطلب منه العبد الكسوة والطعام والتربية والانعام
يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم
عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك والمالك انت
تطمع فيه الملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سكوي ويترك من كان
مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له
مهابة وسياسة والمالك له رافة ورحمة واحتياجا الى الرفق والرحمة
الله من احتياجا الى الهيبة والسياسة اخرج وكيع في تفسيره وعبد بن

حميد

حميد وابو داود وابن ابي داود في المصاحف عن الزهري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان وعلى كانوا يقرءون يا مالك يوم الدين واول
من قرأها ملك يوم الدين مروان وفيه نظر لان هذه القراءة هي
قراءة الباقين كما ذكرناه وهم اخذوا من الصحابة والصحابة اخذوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى واما المتفرع على الثانية
فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك الخ وفي الاخرة لا ملك الا هو
فمن الملك اليوم لله الواحد القهار فلكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا
بذلوا قلت خزائنهم ونفوت ذخايرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر
عطاء كان اكثر ملكا فان اعطاك عشرة اولادا زاد في ملكه عشرا عبيد
من لوازم ملكه بخلاف الرحمة فلهذا اقترن قوله ملك يوم الدين بقوله رب
العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك لله منذ الحق للرحمن والمالك هو المتصرف
في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الاستخدام والبيع وغيرهما مشتق من
الملك بكسر الميم بمعنى التملك فيكون متعديا والملك هو المتصرف بالامر
والنهي في المأمورين مشتق من الملك بضم الميم بمعنى التسلط فهو لازم
وقرئ ملك بسكون اللام وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب
على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف
اي هو مالك وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه كما تدين تدان اي كما تفعل تجازى قال الله تعالى لنجزي العباد

يعتمد باعمالهم كما قال الله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت فاضافة
ملك يوم الدين من قبيل اضافة الصفة المشبهة الى غير مفعولها كما في رب
العالمين فيكون حقيقة لا لفظية لان اللفظية اضافتها الى الفاعل لا غير
فيصلح جعله صفة لله وما اضاف مالك يوم الدين فمن قبيل اضافة اسم الفاعل
الى الظرف على سبيل التجوز لان كونه مالكا ليوم الدين كناية عن كونه مالكا فيه
للامر كله فان ملك الزمان كتملك المكان يستلزم تملك جميع ما فيه
وهي ايضا حقيقية لان المراد به الاستمرار او الماضي لا الحال والاستقبال
ويصح جعل مالكية يوم الدين مستمرة مع ان يوم الدين وما فيه ليس مستمرا
في جميع الازمنة لكونه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا كالمتحقق المستمر
كما يصح جعله لتحقق وقوعه كالماضي وفي اختياره على يوم القيمة
وساير اسامي رعاية للفاصلة وافادة للعموم فان الجزاء يتناول جميع
احوال القيمة الى السرمد ولا دل على التوقيت والاختصاص على
ان جنس الحمد يختص به وحق له ان يجري عليه ملك الاوصاف العظام لتلونه
حجة قاطعة على اختصار الحمد فيه واستحقاقه اياه فذكر اولا ما يتعلق بالايجاد
من كونه ربا مالكا للاشياء كلها بافاضة الوجود عليها واعداد اسباب
الكمالات لها وثانيا ما يتعلق بالبقاء من اسباغه عليها نعما ظاهرة
وباطنة جليلة ودقيقة وثالثا ما يتعلق بالاعادة من كونه مالكا للامر
كله يوم الجزاء فلا يستأهل غيره ان يحمد فضلا عن ان يعبد فيلائم

قوله

مالك خصص اليوم باضافة مالك اليه مع انه
تعالى مالك لجميع الاشياء في كل الاوقات اما
لتعظيم او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه
في ذلك اليوم بحيث لا يبقى لغيره ملكية ولا
مالكية فيه لقوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار

قوله اياك نعبد واياك نستعين اى بارشادك هذا اشارتك لحصلك بالعبادة
او تقديم المفعول يفيد الاختصاص اى لا نعبد احدا سواك والحاكم فيه ذوق
التسليم واستحقاق هذا الاختصاص ظاهر لان العبادة عبارة عن
نهاية التعظيم فلا تليق الا لمن صدر عنه غاية الانعام وهو الله تعالى لاتصافه
بالصفات المذكورة وتكرار اياك للتنصيص على التخصيص في كل من العبادة
والاستعانة ولولاه لكان التخصيص في مجموعهما ولا يلزم من ذلك التخصيص
في كل منهما وفي ايراد قولوا اياك دون اياه كما هو مقتضى ظاهر التفات من
الغيبة الى الخطاب في هذا المقام بعد اشتماله على فايدة عامة مع حملة المتكلم
وهي التصرف والافتنان في وجوه الكلام واظهار القدرة عليها ومع جهة
المخاطب وهي مقارنة نشاطه في سماع الكلام والمحافظة للاصغاء اليه الى حصول
اياك بدل اياه فقد تنزل الغايب بواسطة اوصافه المذكورة التي اوجبت
تميزه وانكشافه حتى صار كانه بتبدل خفاء غيبته بجلاء حضوره بمنزلة المخاطب
في التميز الظهور ثم اطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب في اطلاقه ملاحظة
لتلك الاوصاف فصار الحكم مرتبا على الوصف المناسب فتدبر ايها الموصوف
المتميز بهذه الاوصاف لحصلك بالعبادة والاستعانة فيفهم منه عرفا انهما
مختصان به لتميزه بتلك الصفات فعلم من هذا ان حق التالي بعد ما تامل
فيما سلف من انفراده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه بذاته
عما سواه مالكية واستبداده بجلايل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع
افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء

على التفصيل الذى مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة
العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه فى خطاب القدس
حاضرا فى محاظر الانس كانه واقف لدى مولاه فى مقام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه الحديث مايل بين يديه وهو يدعوا بالخضوع والانخباث ويقرع
بالضراعة باب المناجات قائلا يا من هذه شئونه ذاته وصفاته لحصك
بالعبادة والاستعانة طلب المعونة وهى ما يتأتى به الفعل اولا يسهل
الا به فالاول كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها
وعند اتجاعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل
والثانى كالراحلة فى السفر للقادر على المشى فهو مناط صحة التكليف
لا اصله ويحتمل ان يكون الخصوصية بهذا الالتفات من اول السورة
الى هنا ثناء والثناء فى الغيبة اولى ومن ههنا الى آخره دعاء والدعاء
فى الحضور اولى لانه ينبغى ان يكون تالى كلامه سبحانه لمحة تجلى له المتكلم
فيه ونصب مشهود له فيخاطبه بتخصيص العبادة والاستعانة به نقل عن الامام
جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه انه قال لقد تجلى الله تعالى لعباده فى كلامه
ولكن لا يبصرون والضمير المستكن فى الفعلين للقارى ومن هو من الحفظة
ان صح منفردا اوله والى ضرى الجماعة اصح الى عمه اوله ولسائر الموحدين
ان قرأ فى خارج الصلوة او الى القارى عبادة لعبادتهم حيث قال نعبد بالجمع
وحطا خلط حاجة بحاجتهم فى تعيين المعبود بعبادتهم ولحاب الماء ولبابه
ثم عبر بالجماعة اوله فقط لاشتمال عمه القوى والحواس فكانه لكل منها عبادة

والاستعانة وتقديم العبادة على الاستعانة لرعاية الفاصلة اولان العبادة وسيلة
الى الاستعانة ان كان المراد بها الاستعانة على ما عدا العبادات من المهمات والا فسك
ان تقديم الوسيلة اوفر لحظ من استجابة الاجابة وان كان المراد بها الاستعانة
على الاشياء مطلقا بحيث يدخل فيها العبادة ايضا فوجه تقديم العبادة
ايضا ظاهر لانها مقصودة بالذات الى الاستعانة وان كان طلب المعونة
على الشئ مقدما عليه وقيل الجواب ايضا ان الواو لا يدل على الترتيب او
ان المراد بالعبادة التوحيد وهو مقدم على الاستعانة وانما يطلق الاستعانة
ولم يقصد بها الكل مستعان فيه ولا ببعضه ليحتمل الكل ولحذ القارى على ما يناسب
حاله وقرنت الاستعانة بالعبادة لان العبادة امر يتقرب به العباد الى ربهم
والاستعانة طلب يحتاج جوازا اليه من جهة ربهم وهو اعانة اياهم فى حوائجهم
ومهماتهم وهو ابين ان بين تقربهم اليه وتطلبهم منه المعونة فى مهماتهم
مناسبة تامة ذهب الزجاج الى ان اياك مضمر بينهم اضيف الى الذى بعده
ازالة لابهامه فكان اياك بعينه نفسك والخليل الى انه مضمر مضاف الى
ما بعده وزين بان الضمير لا يضاف وابن كيسان وبعض الكوفة الى ان الكاف
واخواتها هى الضمائر التى كانت متصلة واياد عامة لها فانها لما فصلت
عن العوامل لتعذر النطق بها مفردة فصلت الها اياها لتستقل بها وتوهم من الكوفة
الى ان اياك بكماله هو المضمر والحق ما ذهب اليه الاخفش وهو ان اياه ضمير منفصل
وما يلحقه من الهاء فى اياى والكاف فى اياك والهاء فى اياه حروف زيدت

لبيان التكلم والخطاب والغيبة لاتحمل لهما من الاعراب وقرئ ايّاك بتخفيف الياء
وايّاك بفتح الهمزة وتشديد الياء وهياك بقلب الهمزة هاء وقرئ نعبد ونستعين
بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم
يضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف
اعينكم فقالوا اهدنا فلو ترك
الواو والكمال للاتصال وافراد الدال هو المقصود الاعظم من الاسعاد وابتداء الدعاء
وسؤال فيلو ترك الواو والكمال للانقطاع لاختلافهما خبرا وانشاء والهداية
دلالة بلطف ولذلك لا تستعمل في غير الخير الا على سبيل التهكم كقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم والفعل منه يهدي واصله ان يتعدى الى مفعوله الاول بنفسه
والى الثاني بواسطة حرف الجر وهي اما اللام او الى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي
للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم وعدي الى كلا مفعوليه في الآية
بنفسه الاول ضمير المتكلم مع الغير والثاني الصراط فعومل معه معاملة اختار في قوله
واختار موسى قومه وهذا ظاهر في ان المتعدي بنفسه والمتعدي بالحرف
لا فرق بينهما لكن نقل عن صاحب الكشاف ان هداه لكذا اولى كذا انما يقال
اذا لم يكن في ذلك فيصل بالهداية اليه وهداه كذا لمن يلوح فيه فيزداد
ويثبت ولمن لا يلوح فيصل اليه وقد يقال لا نزاع في الاستعمالات الثلث
الا ان منهم من فرق بان معنى المتعدي بنفسه الى المفعولين هو الايصال
الى المطلوب ولا يكون الا فعل الله تعالى فلا يسند الا اليه كقوله تعالى انهم

سبلنا

سبلنا ومعنى المتعدي الى المفعول الثاني بالحرف الجر هو الدلالة الى ما يوصل اليه فيسند تارة
الى القرآن واخرى الى النبي صلى الله عليه وسلم كما في الآيتين المذكورتين قال الجوهري و
هداية الطريق والبيت هداية اي عرفته هذه لغة اهل الحجاز وغيرهم يقولون
هديته الى الطريق والى البيت حكاه الاخفش انتهى كلامه وهذا صريح في ان الهداية
بنفسه الى المفعول الثاني ايضا لغة اصلية لبعض الطائفة ثم اعلم ان للهداية
مراتب لا يمكن احصاؤها الا على سبيل الاجمال فالمرتبة الاولى ان يهدانا الله
من ظلمة الاستخفاء في غيب الهوية الى عرصة نور الوجود العلمي الكلي الاجمالي
كما في التعين الاول ثم الى عرصة نور الوجود العلمي التفصيلي كما في التعين الثاني
ثم الى عرصة نور الوجود العيني مرتبة بعد مرتبة روحا ومثالا وحسا الى ان بلغنا
الى النشأة البدنية العنصرية ثم الى امرائها من مبدأ الطفولية الى سن التكليف
والتمييز بسبب فاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه
كالقوة العقلية والحواس وهذه هي المرتبة الاولى من مراتب النشأة البدنية
العنصرية وتسمى المرتبة الهيولانية والثانية منها نصب الدلائل العارفة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين
اي طريق الخير والشر وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة
على الايمان وهذه هي مرتبة العقل بالملكة والثالثة منها هداية الله عباده
بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلنا لهم اماما يهدون بامرنا
وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وهذه هي مرتبة العقل بالفعل

والرابعة منها ان ينكشف على قلوبهم السرائر وتريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام
او المنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وطلب الهداية بعد الاهتداء فان هي خصص الحمد بالله سبحانه واجرى عليه
تلك الصفات العظام وحصر العبادة والاستعانة فيه كان مهديا لحمول على طلب زيادة
الهداية او الثبات عليها واذا كان السالك في مقام السير الى الله ولم يصل الى مطلوبه
فلا شك ان بينه وبين مطلوبه مسافة ينبغي ان يقطعها حتى يصل اليه فلا بد له من
طلب الهداية ليقطع تلك المسافة ومراتب سيره منقطع وتنتهي بما ذكر من الاتصال
والفناء وبعد انقطاعه يبتدئ السير في الله واذا كان سيره في الله فليس
لمطلوبه نهاية ولا ينتهي سيره ابدا الابدين فلا بد له ايضا من طلب الهداية واليه اشار
بعض العارفين ان شربت الحب كأسا بعد كأس فما نقدت الشراب ولا رويت
تلخيصه ان الى حصل انما هو بعض اجناس الهداية والمطلوب بقوله اهدنا امر زيادة
ذلك الجنس الحاصل بزيادة افراده وكيفيته واما الثبات على ما حصل له واما حصول
اجناس اخر مترتبة على ما اعطي غير متناهية فبالجملة لا بد للسالك من طلبها وان كان
حاصلا في بعض المراتب وهذه الصيغة موضوعة لطلب الفعل مطلقا لكنه
من الاعلى امر ومن الادنى دعاء ومن المساوي التماس والصراط الجادة وسط الشيء
اذا ابتلعه قال الراغب سميت بالصراط على قولهم انها تسلع سالكها او يبتلعها
سالكها كما يقال اكلته المفازة اذا اضرته او اهلكته واكل زيد المفازة اذا

اعلم

اذا قطعها ولذلك تسمى بلقما لانها تلتقم السالكين او يلتقمونها وابتلاع
الصراط السالكين يناسب السير الى الله فان هذا السير ينتهي الى فناء السالك
وذلك هو ابتلاع الصراط اياه وابتلاع السالك الصراط يناسب السير في الله
فان السالك ح يبقى ببقاء الله سبحانه ويسير في صفاته ويتحقق بها فكأنه
يبتلعها ويتغذى بها والصراط اصله سراط قلبت السين صادا لاجل
الطاء لانها مستعلية فيوافقها الصاد لانها ايضا مستعلية بخلاف السين
فانها منخفضة فلما اجتمع بينهما نوع ثقل وقربتهم الصاد صوت الزاي
لتكتسي بذلك نوع جهر فيزاد قربها من الطاء وقيل هو لغة اخرى المبدل منه
وهو السين وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورش عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام
والباقون بالصاد وهو لغة قريش وهذا الابدال في نوع الصاد بدلا من السين
ولم ترسم في الامام وهو مصحف عثمان رضي الله عنه الا بالصاد مع اختلاف
قراءتهم فيدل هذا على ان جميع السبعة غير ثابت في الامام وقد صرحوا
انه لا بد في القرآنية وفي جريان احكام القرآن من جواز الصلوة ونحوه من امور ثلثة
صحة سنده وثبوته في واحد من المصاحف العثمانية التي هي ائمة سائر المصاحف
واستقامة وجهه في العربية واذا كان الثابت في الامام هو الصراط لا غير لم يكن
القراءة بالسين والاشمام قراءة القرآن واجيب بان المراد بالثبوت في الامام
اعم من الثبوت تحقيقا او احتمالا بان يقع القراءة على الاصل ويوجد ما وقع في رسم
الامام بدلا من الاصل الذي قرئ به فلو ما قرئ به ثابتا في الامام تقديرا لكونه اصل
ما في الامام قال في النشر قولنا بعبة الثبوت في الامام ولو احتمالا ليدخل به ما يوافق

الرسم ولو تقديرا اذ موافقة الرسم قد تكون لحقها وهي الموافقة الصريحة وقد تكون
تقديرا وهي الموافقة احتمالا ثم قال فانظر كيف كتبوا الصاد والمصيطر
بالصاد لمبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الاصل لتكون قراءة
السين وان خالفت الرسم موجودة في الاصل فصعد لا تكون قراءة
الاشمام محتملة ولو كتب ذلك بالسين على الاصل لفات الاعتدال بين
القراءتين وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والاصل والصراط يذكر و
يونث كالطريق والسبيل وقرأ ابن مسعود رضه ارشدنا والمراد بالمستقيم
ما يودي الى المقصود سواء كان اقرب الطرق ام لا فغير المستقيم ما لا يودي
الى المقصود اصلا والمراد به اقرب الطرق الى المقصود فان اقرب خط
وصل بين النقطتين هو المستقيم فغير المستقيم على هذا لا يجب ان يكون
من طرق الضلال المطلق بل يكون اعم والمراد به اعدل الطرق وهو الغير
المائل عنه يمنة ويسرة فطلب الهداية الى الاول يناسب اهل السعادة
مطلقا والى الثاني يناسب المتوجهين اليه بالوجه الخاص والى الثالث
يناسب طالبي مرتبة الجمع بين الجمع والفرق فان طريقه غير مائل الى يمين
الجمع ولا الى يسار الفرق صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل
من الكل لفائدتين احديهما التاكيد بذكر الصراط مرتين لفظا ومن تكرير العامل
تقديرا ولا بد من تكريره لان البدل هو المقصود بالنسبة دون المبدل منه
وثانيهما تكرير النسبة وثانيهما الايضاح بتفسير المبهم وفيه ايضا نوع
تاكيد فان ذكر الشيء مبهما ثم تفسيره يفيد تقريره وتاكيده فكانه نص على ان

الطريق

الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين وهو المشهود اعليه بالاستقامة فالمراد
بالمنعم عليهم المومن مطلقا وعبر عن سيقع بالماضي لانه متحقق والمعنى انعمت
عليهم في علمك او حكمت عليهم بانهم منعم عليهم وقوله عليهم في محل النصب على
المفعولية واطلق الانعام ولم يقيد بنعمة خاصة ليشمل كل انعام ووجه صحة
الشمول هو ادعاء ان كل انعام اهدى عليه نبينا الاسلام لم تبق نعمة الا صابته وقيل
الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ
وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي اصل الى الحالة التي يستلذها
الانسان من الامور الملائمة له المورثة لانها مصدر نعم عيشه ونعم العيش
طاب ولانه ثم اطلقت على ما يستلذها الانسان من الامور الملائمة المورثة
تلك الحالة اطلاقا لاسم المسبب على السبب والنعمة بكسر النون ماخوذة من النعمة
بفتحها وهي اللين يقال نعم الشيء نعومة ونعم اذا صار ناعما ليناً ونعم الله
مع استحالة احصائها تنحصر اصولها في قسمين دنيوي وهو قسمان موهبي وكسبي
والموهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفكر والفهم والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة
والملكات الرديئة وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيات
المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والاخروي وهي ان يغفر ما صدر
منه ويرضى عنه ويبوءه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين والمطلوب من النعمة
المدلول عليها هنا بقوله انعمت عليهم هي النعمة الاخروية مع ما يكون وصلة اليه

من القسم الاول فان ما عداذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم
بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب
والضلال او صفة له بناء على اجراء الموصول مجرى النكرات اذا لم يقصد به معهود
معين بل يقصد طائفة من المؤمنين مثلا لا باعيانهم وذلك لان الموصول
بحكم المعرف باللام فاذا اريد به الجنس من حيث وجوده في ضمن بعض افراده
لا بعينه كان في المعنى كالنكرة وهو المسمى بالمعهود الذهني فتارة ينظر الى معناه
فيعامل معاملة النكرة كالوصف بالمنكر وبالجملة واخرى الى لفظه فيوصف بالمعرفة
او على جعل غير المغضوب عليهم معرفة بناء على اشتهار المنعم عليهم بمغايرة المغضوب
عليهم كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير
المجرور في عليهم والعامل انعمت او باضمار اعني وعليهم في محل الرفع لانه نائب
مناب الفاعل صرح باسناد النعمة اليه تعالى على طريقة الخطاب بقوله انعمت
تقربا وزوى عنه اسناد الغضب تاديبا كانه قيل الانعام فايض من جنابك
واما اوليك فيستحقون ان يغضب عليهم ويحتمل ان يقال انه جاء بالانعام
مبنيا للفاعل ليدل على ثبوت انعام الله عليهم وبالغضب مبنيا للمفعول
لان من طلبت منه الهداية ونسب الانعام اليه لا تناسبه نسبة الغضب
اليه لان المقام مقام تلطف وترفق لطلب الاحياء فلا يحسن مواجهته
بصفة الانتقام فان الغضب هو ثوران النفس ارادة الانتقام اذا
اسند الى الله تعالى يراد به المنتهى والغاية وهي الانتقام كما مر في تفسير قوله
الرحمن الرحيم ولا الضالين لا هذه هي المسماة بالمذيلة عند البصريين

وهي

وهي انما تقع بعد الواو في سياق النفي للتاكيد والتصريح بتعلق النفي بكل من
المعطوف عليه لئلا يتوهم ان المنفي هو الجمع من حيث هو فيجوز ثبوت
احدهما والنفي الذي وقعت لا بعد الواو في سياق هو ما يتضمن غير فكانه
قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
بتقديم معمول ما اضيف اليه على الغير لان الاضافة ههنا كما يجوز انا زيدا
ضارب ولم يجز انا زيدا مثل ضارب لان الاضافة ليست كالعدم واذا
امتنعت من تقديم المضاف اليه على المضاف كان تقديم معموله على المضاف اسوء فان
المعمول لا يصح وقوعه [illegible] الا حيث يصح وقوع عامله فيه والضلال
العدول عن الطريق السوى عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت
بين ادناه واعلاه كثير

وتاويل سورة فاتحة الكتاب في بعض بطونها

اعلم ان فاتحة الكتاب اسم لاهوتي سميت بها
لان الله بها فتح ابواب خزائن الحقائق التي ما فتح الله ابوابها على احد
من العالمين الا على اشرف خلقه صلى الله عليه وسلم اولان الله تعالى فتح
لنبيه مناجات بها فكانت فاتحة لكل خير اولان الله تعالى لما كتب ما كتبه احسانا
وكان هو ما سواه مما سوى الانسان الكامل وكتابا صغيرا جسما كبيرا انسانا وهو
الانسان الكامل وهذه السورة الشريفة لتضمنها الحمد الذي هو الها كمال المحمود
الباعث على انشاء الكتابين فاتحة لهما وام القرى اسم خبروي سميت بها
لان الام محل الايجاد والموجود وهو القرآن ومضمونه من مراتب الربوبية حيث ان المستحق
للربوبية لا شريك له في ذاته وصفاته وافعاله ومسانهل الحمد وهو المالك المتصرف

مطلقا والعبودية مع معرفة الله تعالى بهذه المراتب والاقرار بربوبيته والامور الدنياوية
من الملك والملك والتصرف فيهما موجود فيهما والسبع المثاني اسم ملكوتي سميت به لانها
سبع آيات بالاتفاق ولان هذه الآيات السبع مثنى باعتبار ان نصفها ثناء العبد الله
تعالى ونصفها عطاء الله لعبده وسورة الحمد اسم ناسوتي سميت بها لانه يفهم منها ان
الحامد والمحمود في الحقيقة هو الله تعالى واما اسماؤها الاخرى كام الكتاب وسورة المئين
والوافية والكافية والجزية والمنجية وسورة الاساس وسورة الشفا كما روي عن
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب شفاء من كل
داء وسورة الواقية والمجمع الاسماء وسورة الكنز فوجه وسورة السؤال وسورة
النعايم وسورة السر وسورة الصلوة وسورة المكافاة وسورة الواقية والمجمع
الاسماء وسورة الكنز فوجه تسميتها بها معلوم بادنى تامل ومرجع الكنز في الامها
الاربعة المذكورة اولا كما لا يخفى والكنز وغ الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين على انها مكية ويستدل عليه بقوله تعالى في سورة الحجر ولقد آتيناك سبعا من المثاني وقد
فسره صلى الله عليه وسلم بالفاتحة كما في الصحاح وسورة الحجر مكية بالاتفاق وبانه لا خلاف
في ان الصلوة فرضت بمكة ولم يحفظ انه كان في الاسلام صلوة بغير الفاتحة ذكره ابن
عطية وغيره وقد روى الواحدي والثعلبي من طريق علي ابن مسيب عن الفضل بن عمر
وعن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش
بل انها اول ما نزل وحجة ما اخرجه البيهقي في الدلايل والواحدي من طريق يونس ابن بكير عن
يونس بن عمرو عن ابيه عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت ان يكون هذا امرا

فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك وانك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق
الحديث فلما دخل ابو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت اذهب مع محمد الى ورقة فانطلقا
فقصا عليه فقال اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا في الارض
فقال لا تفعل اذا اتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد
قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين والحديث
هذا مرسل رجاله ثقات واشتهر عن مجاهد عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابليس
رن حين انزلت فاتحة الكتاب وانزلت بالمدينة وذهب بعضهم الى انها نزلت
مرة بمكة ومرة بالمدينة مبالغة في تشريفها وفي قول نزلت نصفها بمكة ونصفها بالمدينة
قيل نزلت فاتحة الكتاب في وقت فرضت الصلوة فيه فسبب نزولها فرضية الصلوة
انتهى وهذا الثناء دليل على انها مكية كما لا يخفى والمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل
بعدها سواء نزل بالمدينة او في سفر من الاسفار ثم اعلم ان وجود العالم مسبب
عن الاسماء الالهية واثر لها فان لكل اسم من الاسماء الالهية المتعلق بالعالم كما لا يخفى
ويرجع اليه وانما يحصل ذلك ويتم بظهور احكامه واثاره في الاعيان الوجودية
التي هي تحاليه ومعيناته ومجال ظهور سلطنة حكمه واثره وذلك بسوال الاسم بلسان
مرتبته من الاسم الله فاذا ورد اسم من الاسماء الالهية بحيث لم يتقدم عليه لو ولم
يتاخر عنه مثل الله او الرحمن فالعارف ما يفهم منه عند التامل فيه الا كونه دالا على
الذات بدون ملاحظة المعنى الوصفي الذي يفهم منهم ويطلبه اللون واذا وقع اللون
بعده مثل قوله تعالى الرحمن خلق الانسان فلذلك اللون تعلق به ويصدر عنه تلون
نتيجة فان الاسم الالهي اظهر عين الاثر فهذا بالنظر اليه برهاني لمي لانه انتقال

من العلة والخالق الى المعلول والمخلوق واذا ذكر اللون فقد مثل قولك اتفقوا احمد
فالله التقوى ما تبقى منه وهو الاسم الله فان اللون يدل على اسم الله تعالى فيصير الاسم
نتيجة على عكس الاول وهذا برهان انى فانه انتقال من المعلول المخلوق الى علته وخالقه
ولا شبهة في ان الاول من البرهان افضل من الثاني واذا ذكر اللون بين اسمين مثل اتفقوا احمد
ويعلمكم الله فوقع ويعلمكم الله بين اسمين الهيين لان قبله الاسم الله وبعده الاسم الله
كان في حكم النحلة والمعلول الاول فائز فيه بالتعلم وفي حكم المتقدم والدليل الثاني ومع هذا
مثل العلم بالاسم الثاني واذا اورد اسم الهي بين اسم الهي يتقدمه وبين لون يتاخر
عنه مثل بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القران فاسم الرحمن تقدم عليه اسم الهي
وهو الرحيم وتاخر عنه اللون وهو تعليم القران فلون هذا الاسم تبعا للاسم الذي
قبله وموجد اللون الذي بعده او بين لون يتقدمه وبين اسم الهي يتاخر عنه
كالمثال المذكور ايضا فان الاسم تقدم عليه اللون وهو بسم الله فانه ما سوى وتاخر
عن الاسم الرحمن وهو الهي او بين لون تقدمه واسم تاخر عنه ولون تاخر عن الاسم
الاخير مثل العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين فالرحمن الرحيم تقدم العالمين
وتاخر عنه ملك يوم الدين ويوم الدين ايضا كوني ليظهر من ملكا سلطان الرحمن
الرحيم فان الرحمة من قبل الملك عزة وامتنان واستغناء عن المرحوم بخلاف رحمة
غيره كرحمة الام على ولدها بالشفقة عليه وكذلك اذا وقع اسم الهي بين اسمين الهيين
مثل قولهم هو الله الخالق البارئ فالخالق وقع بين الله والبارئ فهو صفة لله وموصوف
ببارئ فحاصل الكلام ان العالم اثر للاسماء والصفات الالهية فكلما تقدم الاسم الالهي
على الكوني فالاول مؤثر والثاني اثره وكلما تقدم الكوني على الالهي فالكوني دال على الالهي

وان كان في الحقيقة اثره وهكذا في الاكوان اذا وقع لون بين كونين يلون الواقع
في البين للاول ابتداء وللثاني اياتا في الذي من ذلك كان ما كان بهذه تلاوة العارفين
كلام الله تعالى واذكارهم وافكارهم كما لا يخفى على من كان في زمرتهم او ذاق حلاوة
تراكيب الفاظهم وملاحة تراصف اوضاعهم وتعقل معاني بحذراتهم العذراء
والالى مستورا تهم الحسناء اذا عرفت هذا فاعلم ايدك الله بسم الله ان كان للاسبقية
على التقدير باسم الله ظهر وجود العالم وتمام امره نقل عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه
قال حقيقة هذا كانه قيل بي كان ما كان وبي كان يلون ما يلون او بالاسم الناسي الى الاثر
الدال على الذات المسمى الالهي الموصوف بالصفة الجبروتية والفعل الملكوتي خلق
الاكوان وظهر الوجوب والامكان وان كان للاسبقية على التقدير التصق وتصل
قلبي باسم الله وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عنده او اتصل العالم بالصانع المتصل
المعلول بالعلة الموجدة والمعدة والمعيدة فكانه قال لي قام وظهر كل شيء
فالبارئ المصاحبة الموجودات من حضرة الحق في مقام الجمع والوجود فان قيل ما الحكمة
في ان الله تعالى افتتح كلامه المجيد من بين الحروف بالباء واسقطت الالف من الاسم
وطولت الباء عوضها قلنا الباء لجلالتها تنزلت الى المرتبة الثانية والالف واحد
ينزل الى المرتبة الاولى فالالف بدل على الذات البحت في مقام الوحدة بلا اعتبار
الايجاد والباء تدل عليه باعتبار الايجاد ولذلك كانت الباء لعالم الايجاد احق من
الالف بالنقطة التي تحتها وهي الموجودات ولهذا قيل ظهرت الموجودات من باء
بسم الله اذ هي الحرف الذي ملاك الالف الموضوعة باذاء ذات الله تعالى فهي اشارة
الى العقل الاول الذي هو اول خلق الله الخ طبق لقوله ما خلقت خلقا احب الي منك

ولا اكرام على منك بك اعطى وبك اخذ وبك اثيب وبك اعاقب الحديث ولان الباء
حرف مكسور ايا ما ويدل على الالصاق والاتصال من حيث دلالته على الاتصال
يفهم منه اولوا الالباب ان المقصد الاقصى والمطلب الاعلى انما هو مفهوم الباء
يعنى الالصاق بالمطلوب الحقيقى وهذا انما يتصور بكمال التقوى مع الانكسار
بحيث يرتقى الانسان الى مرتبة يحبهم ويحبونه كما قال الله تعالى فى الحديث القدسى
لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا
ولسانا ويدا ومؤيدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش فمن حيث قبولها
الكسر ودلالتها على الاتصال شرفت بمناسبة شرف الاتصال باسم الله تعالى كما قال الله تعالى
فى الحديث القدسى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى وخصصت لبارفعة درجة بالنسبة
الى الحروف المجية من حيث انها اعطيت نقطة ولها علو بها من حيث انها عرفت
عليها النقطة ما قبلت الا واحدة وجعلتها تحت قدمها فشبهت حالها بحال العارف
الموحد لا يقبل الا واحدا ولا يعبد ولا يقصد ولا يحب الا واحدا ويحمل ما سواه
تحت قدم همة لاجل حد الله ولما علو قدرها بكمال الزمان تخفض التابع لها
ولجعله مكسورا متصفا بصفة نفسها وبجر معنى ما قبلها اليه فصارت كاملة ومكملة
ولان الباء جهتين فمن حيث الاشارة بها الى البارى والبديع دالة على البداية
ومن حيث الاشياة بها الى الباقى والباعث دالة على النهاية فمن هذا السبب
صارت مفتتح كلام الله تعالى وقال بعض العارفين الباء بداية مراتب الشهادة
ونهاية مراتب الغيب فبها ظهرت الاشياء وبه خفيت وقال بعضهم
افتتاح كلام الله تعالى واقع بالباء واختتامه بالسين فيركب منهما لفظ بس المستعمل

بس

من الرب والبم بمعنى حسبك فمعناه حسبك من الكونين ما اعطيناك من الخيرين
وقال بعض من اهل الاشارات الباء اشارة الى اسم الله البر الباسط
الباطن والى بقائه قال الشيخ العارف ابو محمد محى الدين قدس سره بالباء ظهر الوجود
وتميز العابد عن المعبود واراد باسماء الله تعالى وبقائه ظهر الوجود وبالنقطة تميز العابد
عن المعبود روى عن امير المؤمنين على رضى الله عنه قال انا نقطة تحت الباء
وقيل للشبلى قدس سره انت الشبلى فقال انا النقطة التى تحت الباء وهو قولهم
النقطة التى تميز وهو وجود العبد بما تقتضيه حقيقة العبودية وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال الباء بسرة بانبيائه بالهام الرسالة والنبوة والسين سره
مع اصفيائه بالهام القرب والانس والميم منه على اهل ولاية المريدين بدوام
نظره اليهم بعين الشفقة والرحمة واخرج ابن جرير وابن عدى فى الكامل وابن
مردويه وابو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى تاريخ دمشق والثعلبى بسند ضعيف
عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى عليه وسلم ان عيسى بن مريم اسلمته
امه الى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال له عيسى
عليه السلام وما بسم الله قال المعلم لا ادرى فقال عيسى الباء بهاء الله والسين
سناؤه والميم مملكته والله اله الالهة الرحمن رحمن الدنيا والاخرة والرحيم
رحيم الاخرة ثم انه لما كان مراتب الموجودات اربعة الالوهية والروحانية
والجسمانية والحيوانية اشار بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الى المراتب الاربع
الاسم والذات وصفة الجلال وصفة الجمال وفى الباء اشارة الى ان وجود هذه العوالم
كلها وليس لغيرى وجوه حقيقة الا بالاسم والعالم وجود اسمى مجازى لا حقيقى لان المراد

بالوجود الحقيقي ان يكون واجبا مستقلا غير محتاج الى الغير فما هو محتاج يكون ممكنا
لانه حادث كان بقدرة الله بعد ان لم يكن لانه معلول ممكن وكل ممكن فهو محتاج
في كلا طرفي الوجود والعدم الى العلة فلابد ان تنتهي السلسلة لعلة لا تكون معلولا
لشيء والا لدار او تسلسل وهما محالان والموقوف على المحال محال وهل هذه الا الواجب
وجوده اي لا يحتاج في وجوده الى الغير بل وجوده عين ذاته عند المحققين لان بداهة
العقل حاكمة بان الشيء ما لم يوجد لم يوجد لان الايجاد فرع الوجود فلو كان علة
لوجودها لزم تقدم وجودها على ايجادها نفسها فان كان الوجود السابق عين
الوجود اللاحق لزم الدور وان كان مغايرا له نقل الكلام اليه حتى يتسلسل
او ينتهي الى وجود هو عينه على ان البداهة حاكمة بان الشيء لا يكون له الا وجود
واحد فهو واجب الوجود وما سواه ممكن محتاج اليه في وجوده وكما قال الله تعالى
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي انقادوا لانقياد التام انما
يكون اذا كان موجودا بايجاده معدوما باعدامه يعني ان ما سواه منقاد خاضع لله
تعالى في طرفي وجوده وعدمه وقوله وله اسلم يفيد الحصر كما لا يخفى فلا يكون وجود
ما سواه حقيقيا بل مجازيا مرآتيا للمعنى الحقيقي والى هذا اشار بعضهم بقوله
ما نظرت في شيء الا ورايت الله فيه ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد
وقال بعضهم ما نظرت في شيء الا ورايت الله قبله فالاول كلام المريدين
والثاني كلام المرادين لان الانتقال من المخلوق الى الخالق برهاني وعكسه
ملي ولا شك ان النبي اشرف من الالهي فتحقق بسم الله الرحمن الرحيم
ان وجودي بذاتي وهو الله وصفاتي كلها التي هي اسماء صفات الجلال او الجمال

فهذا قائمة وما سواه الذي وهو العالم اسم موجود بايجادي قائم بقيومتي واعلم
ان صفة الجمال ما تتعلق باللطف وصفة الجلال ما تتعلق بالقهر وباجتماعهما يحصل الكمال
لكن يوجد الجلال في الجمال كما يبين الحاصل من المحال لا العكس فانه عبارة عن انقهار العقل
منه وتحيره فيه ويوجد الجمال في الجلال ايضا وهو اللطف المستور في القهر الالهي
قال علي رضي الله تعالى عنه سبحان من تسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته و
اشدت نقمته لاعدائه في سعة رحمته ومن هنا يعلم سر قوله صلى الله عليه وسلم
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ثم اعلم ان الاسماء الحسنى
المشار اليها بقوله ولله الاسماء الحسنى ليست سوى الحضرات الالهية في الوجود
الحق فالحضرة الالهية اسم لذات وصفات وافعال اسماء فاذا قيل الحضرات
الالهية كني عنها بالاسماء الحسنى واذا قيل الحضرة الالهية كني بها عن لفظ الله
وهي الحضرة الجامعة للحضرات كلها قال العارف بالله في الفتوحات معنى الالهية
هو استغناء الاله عما سواه واحتياج جميع ما سواه اليه والاول مفيد للجلال والثاني
مشعر للجمال والكمال عبارة عن مجموع الصفتين المذكورتين في الله ولذلك
ما عبد عابد الا الله قال الله تعالى فاعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله اتم القهر
الى الله وامر الله عباده بملازمة ذكر هذا الاسم وجعله سبب الفلاح كقوله تعالى
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وامر حبيبه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني اعرض عما سوى الله تعالى واقبل بالكلية اليه ذكر هذا الاسم
اعلم ان التسمية من كل مسم لكل مسمى تنبيه عليه لمن هو مجهول عنده او تذكير به ان كان
من قد علمه المذكر له ثم نسيه واظهار له من حيث صفة خاصة او مرتبة او موطن

او الجوع فلتسمية الله نفسه باسمائه مع علمه بها تنبيه للخواص وترهيب منه عز وجل حيث
انه بمثابة ان يخشى ويحذر او ترغيب للجنة فيما عند ذى الاسم من الامور التى يتعذر
نيلها او موفتها دون ذلك التنبيه او ما يقوم مقامه من المنبه فمتى نبه الشخص شوقا رغب
وطلب ليغنم او اتقى وحذر ليسلم وسواء كان ذلك مفيدا بوقت او حال او غيرهما
من الشروط او لم يكن وقال ابو سعيد ان الله عز وجل اول ما دعا عباده دعاهم الى كلمة
واحدة فمن فهمها فقد فهم ما وراءها وهى قوله الله الا ترى لقول قل هو الله فتم
به الكلام لاهل الحقايق ثم زاد بيانا للخواص فقال احد ثم زاد بيانا للاولياء فقال
الله الصمد ثم زاد بيانا للعوام فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فاهل الحقايق
استغنوا باسم الله وهذه الزيادات لمن نزلت مرتبته عن مرتبتهم ثم اعلم ايضا
بان الاسم ناسوتى الا ترى الدال على المسمى الاهوتى لان اطلاق الاسم على المعنى العام
الشامل لجميع الافراد انما هو فى عالم الناسوت واسم الاهوتى لانه اسم لذات الواجب
الوجود المستجمع لجميع المحامد الموصوف بالصفة الجبروتية والفعل الملكوتى فبين الله
بالابتداء بالاسم الا ترى ان دار الكسب عالم الناسوت وبالختم على الرحيم
الفعلى ان دار الاقامة والجزاء عالم الملكوت والالف فى الله دال على الاظهار
والاثبات كقوله تعالى الست بربكم ولو قال لست بربكم لدل على النفى
والعدم فلما ادخل عليه الالف دل على الايجاد والاثبات فدل الالف على انه تعالى هو
الموجد والمظهر والظاهر وتكرار اللامين يدل على انه تعالى هو الذى له اللطف بخلوقه
مرة بعد اخرى والهاء للوصل ضم لبعض الاحيان من شأنه الاضمار فدلت هذه الحروف
الاربعة المركب منها اسم الذات على ان الله بفضله ولطفه وكرمه انعم على المخلوقات

النعم

النعم الظاهرة التى من جملتها نعمة الايجاد بعد ما كان مخفيا فى العدم ونعمة الالباس
بالصورة فى الظاهر بعد ما كان مخفيا فى عالم الارواح قال الله تعالى ولقد خلقناكم ثم
صورناكم والنعم الباطنة التى من جملتها نعمة الابتداء فى الوجود ونعمة اعطاء الروح
فسبقت رحمة غضبه بايجاد الخلق بالصفة الرحمانية التى هى عامة فى حق جميع
الموجودات بالايجاد والابقاء والرزق فى النشأة الاولى وبابقائها بالصفة
الرحيمية فى الاخرى قال الشيخ العارف بالله فى الفتوحات ثم اوجد سبحانه وتعالى
الحركات والحروف والمخارج تنبيها منه تعالى الينا ان الذوات يتميز بالصفات
والمقامات فجعل الحركات نظير الصفات وجعل الحروف نظير الموصوف وجعل المخارج
نظير المقامات والمعارج فاعطى لهذا الاسم من الحروف على عمومه وجوهه من وصل وقطع
همزة والفا ولاما وهاء فالهمزة اولا والهاء اخرا ومخرجهما واحد مما يلى القلب فوقعت النسبة
ثم جعل بين الهمزة والهاء حرف اللام ومخرجه اللسان لتزجا القلب فوقعت النسبة
بين اللامين والهمزة والهاء كما وقعت النسبة بين القلب الذى هو محل الكلام وبين
اللسان المترجم عنه قال الاخطل ان الكلام لفى الفواد وانما جعل اللسان على الفؤاد
دليلا وقيل ان الالف لاولى من اسم الله الاشارة الى الوحدانية واللام الاول
لام المعرفة واللام الثانى لام البقاء والسط الذى بين اللامين معانى مخاطبات
الامر والنهى فالنهاية مما يمكن العبارة عنه من الحقيقة لا غير وقيل الالف الاولى من الله
واللام لطف الله واللام الثانى لقاء الله والهاء تنبيه كانه يقول بالله الله ولطفه
وصل من وصل الى لقاء الله وانتهوا وقيل ان الاشارة فى الالف هو قيام الحق بنفسه
وانفصاله عن جميع ما عداه فلا اتصال لشئ من خلقه كامتناع الالف ان يتصل بشئ

من الحروف ابتداء بل يتصل الحرف به على حد الاحتياج اليه واستغنائه عنها قال الشيخ
العارف بالله لما نطقنا بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لم يظهر للالف واللام وجود
فصار الاتصال من الذات للذات فالله والرحمان اسمان للذات فوضع على نفسه
بنفسه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم واعوذ بك منك لما انتهى الى الذات لم ير غيرا وقد
قال اعوذ بك ولابد من مستعاذ منه فكشف له عنه فقال منك ومنك هو والدليل عليه
اعود ولا يصح ان يفعل فاعل الذات ولا يجوز التفصيل بها قال بعض المحققين في
حال انا الله يعني انا الكلمة الجامعة الدالة على مسمى الله كما ان كلمة الله جامعة للاوصاف
دالة عليه وقالها ايضا بعض الصوفية في مقامين مختلفين وشتان بين مقام المعنى
ومقام الحرف الذي وحد له فقابل الحرف بالحرف اعوذ برضاك من سخطك وقابل المعنى
بالمعنى اعوذ بك منك فهذا غاية المعرفة انتهى كلامه فقد اشار بهذا الى ان من تجلت
عليه الافعال بارتفاع حجب الاكوان توكل ومن تجلت عليه الصفات بارتفاع حجب الافعال
رضي وسلم ومن تجلت عليه الذات بانكشاف حجب الصفات فنى في الوحدة فصار
موحدا مطلقا فاعلا ما فعل وقاريا ما قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فتوحيد الافعال
مقدم على توحيد الصفات وهو على توحيد الذات والى الثلاثة اشار النبي صلى الله
عليه وسلم في سجوده واعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بك منك اي اعوذ بصفتك لصفتك من فعل لك واعوذ بصفة لك
من صفة لك واعوذ بذاتك من ذاتك **الرحمن الرحيم** الرحمن هو المفيض الموجود
والكمال على الكل بحسب مقتضى الحكمة وتحمل القوابل على وجه البداية والرحيم هو المفيض
للكمال المعنوي المخصوص بالنوع الانساني بحسب النهاية ولذا قيل يا رحمن الدنيا والاخرة

ورحيم الاخرة ثم لما قدم لفظ الله اضمحلت العقول في بيداء عظمته وذابت
الارواح في بحار الوهيته فاتبعه بالرحمن الرحيم ليسلي قلوب الموحدين ويشف
صدور قوم مؤمنين وقدم الرحمن لانه دال على الرحمة وصل الرحمن شراب شوقي
اراقه في قدح الرحيم ليتناول العباد حتى اذا شربوا سكروا واذا سكروا
طربوا فطلبوا فطاروا فوصلوا واتصلوا فراروا واضمحلوا في بيداء
كشفه واستغرقوا في بحار لطفه وقع الشهود هذا ذكر ابو حامد الغزالي
رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تخلقوا باخلاق الله وهذا يقتضي
ان يكون للعبد من كل اسم من اسماء الله تعالى حظ يليق به فقول حظ العبد
من اسم الرحمن الرحيم ان يكون العبد كثير الرحمة بان يرحم اولا على نفسه ثم على
غيره احد بداء بنفسك ثم من تعول ما الرحمة على نفسه فبالسكوت عن القوة
النطقية بتزكيتها عن الجهل بالعلم الحقيقي وهو المعرفة والقوة العلمية بحفظ
النفس عن طرفي الافراط والتفريط والزامها الطريق المستقيم وهو
التوسط بينهما باوامر الشريعة ونواهيها قال الله تعالى فاستقم كما امرت
وعدم الاسراف في المطعوم والمشروب قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
فهذه مرتبة الكاملين واما الرحمة على الغير فبتعليمه كلام الله القديم وارشاده
الى الطريق المستقيم بالصدق مع الحق والخلق مع الخلق وهذه مرتبة المكملين
والمرتبة العظمى حصلت بكمالها للرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال فبما رحمة من الله لنت
لهم فجعله الله سببا لوجود الخلق ورحمة لهم لان الله تعالى خلق روح محمد

صلى الله عليه وسلم من نور جماله كما روى انه قال في الحديث القدسي خلقت محمداً اولاً
من نور وجهي وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحي واول ما خلق الله
نوري واول ما خلق الله تعالى القلم واول ما خلق الله تعالى العقل والمراد منها شيء واحد
وهو الحقيقة المحمدية لكن سمي نوراً لكونه صافياً خالياً عن الظلمات الجلالية كما قال الله
تعالى لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وعقلاً لكونه مدركاً للكليات وقلماً لكونه سبباً
لنقل العلم كما ان القلم سبب له في عالم الجوارح فالروح المحمدي خلاصة الاكوان واول
الكائنات واصلها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا من الله والمؤمنون مني خلق
منه الارواح في عالم اللاهوت في احسن تقويم الحقيقة وهو اسم جملة الانس في هذا
العالم وهو الوطن الاصلي ثم خلق العرش من نور يمين محمد وخلق بواقي الكائنات
من العرش ثم الامثل فالامثل حتى مدح النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه
بالرحمة فقال ارحم امتي بامتي ابو بكر فان قيل لم خص هذا الاسم من بين الاسماء بالذكر
بعد اسم الذات قلنا لانه اختلف فيه فبعضهم جعلوه بدلاً وقالوا هو اسم الذات
ايضاً بدليل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
ولهذا لا يطلق على غيره تعالى وبعضهم جعلوه اسم صفة لكن من اخص اسماء الصفات
الى الذات لان الاسماء على نوعين اسماء صفات اللطف واسماء صفات القهر
والرحمن خصوصية بالصفتين بان يوجد منه اللطف والقهر كما يوجد من الذات
المقدسة ويوجد منه الايجاد والافناء وهذا من خصائص الذات الالهي دون سائر
الصفات فثبت انه اخص الاسماء الى الذات ولعلك تفرق بين اسم الله
والرحمن الرحيم فانه اسم ذات وليس لمعنى الاشتقاق فيه ظهور ولهذا لما قال الله

تبارك وتعالى اعبدوا الله ما انكر الكفار كلمة الله وما قالوا وما الله وليئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقالوا وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفا وان قيل اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لما ان الرحمن يعطي الاشتقاق
من الرحمة وهي صفة موجودة فيهم فخافوا ان يكون المعبود الذي يدلهم عليه من جنسهم
فانكروا وقالوا وما الرحمن واما الفرق بينهما مع انهما اسماء اشتقاق من الرحمة
ان الرحمن خاص التسمية لانه لا يسمى به غيره تعالى وعالم في العقل لانه يرحم البر
الفاجر والرحيم عام في التسمية لانه يسمى به غيره تعالى قال الله في حق الرسول
صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين رؤوف رحيم لانه يربيهم في الدين بالرفق كما قال
صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه بالرفق وبالرحمة ويعفو
عنهم سيئاتهم كما امره الله تعالى فاعف عنهم واصفح وفي قوله تعالى لنفسه جل وعلا
ان الله بالناس لرؤوف رحيم دقيقة لطيفة شريفة وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كان مخلوقاً كانت رأفته ورحمته مخلوقة فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف
الخليقة وان الله تعالى لما كان خالقاً كانت رأفته ورحمته قديمة فكانت عامة
للناس لقوة الى القيه من الناس من كان قابلاً للرأفة والرحمة النبوية لانها كانت
من نتائج الرأفة والرحمة الى القيه كما قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وقال
في حق اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين رحماء بينهم وخاص في الفعل لانه يرحم
المؤمن دون الكافر روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان عيسى عليه السلام
قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما الرحمن
البار على البر والفاجر بالرزق والرحيم بالمؤمن خاصة وقال السدي ابن معلس

الرحمن العاطف على عباده يرزقهم من حيث لا يحتسبون ويدفع عنهم من حيث
لا يعلمون والرحيم بالمؤمنين يغفر لهم ما يذنبون وقيل ان الرحمن من صفة جلاله والرحيم
من صفة جماله والفرق بينهما ان الجلال متوسط بين الذات الالهي الذي من شانه
القهر والعزة التي اقتضت الوحدة ونفي الشركة الوجود وبين صفة الجمال التي
من شانها اللطف والرحمة التي اقتضت الاتحاد والابقاء فنسبة احد طرفي
الجلال الى قهارية الذات فيه طرف من القهر ونسبة احد طرفيه الى رحيمية الجمال فيه
رحمة فالرحمة فيه تفوت بقوة القهارية فصارت اقوى من رحيمية الجمال فاعلمت
المبالغة في الرحمة والقهر فيه صار مسبوقا ومغلوبا باللطف الرحمة بقوله تعالى
في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وفي رواية غلبت رحمتي غضبي
فالقهر المسبوق بالرحمة والرحمة المتعلقة به القهر هو الرحمن المبالغ في الرحمة
فثبت ان الرحمن من صفة الجلال والرحيم من صفة الجمال ولهذا جاء الرحمن واسطة
بين الله والرحيم في بسم الله الرحمن الرحيم واذا كان الرحمن متوسطا بين القهر
الصرف وبين اللطف المحض فتارة بالقهر يقتضي الافناء كما اخبر الله تعالى عن صفة
افنائه بقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق
للرحمن وتارة باللطف يقتضي الاثبات كما اخبر الله تعالى عن صفة ايجاده واثباته
بقوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن
اي الذي خلق هو الرحمن فظهر ان الرحمن اكثر مبالغة في الرحمة من الرحيم وفيه
طرف من معنى الالوهية وهو مخصوص به دون الرحيم ولا يخفى على من له عقل سليم
وطبع مستقيم ان عنوان كل مكتوب مشتمل على ما فيه فلو لا ان رحمته وسعت

كل شئ لما وقع بسم الله الرحمن الرحيم مفتتحا وعنوانا للكتاب الكريم فان الله
دال على القدرة السرمدية والرحمن على الرحمة الازلية والرحيم على الرحمة الابدية
فعند اتصام هذه الثلاثة بعضها على بعض اشارة الى ان عصيان المذنبين
يتلاشى نعم ما قيل اذا فاض بحر الرحمة تلاشى كل زلة ورحمة وكان بالمؤمنين رحيما
يروى ان فتى قرب وفاته واغتل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا عنده
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا
يعمل لسانه فقال صلى الله عليه وسلم اما كان يصلي اما كان يزكي اما كان يصوم
فقالوا بلى فقال مهل عق والدته فقالوا نعم فقال ها قوا امه فاتي بعجوز عوراء
فقال صلى الله عليه وسلم فقال مهل لا عفوت عنه قالت لا اعفو لانه لطمني
ففقا عيني فقال صلى الله عليه وسلم ها قوا بالحطب والنار قالت وما تصنع
بالنار فعال صلى الله عليه وسلم احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت
عفوت عفوت للنار رحمة لها تسعة اشهر للنار رصفة سنتين فاين رحمة
الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر الشهادة ان لا اله الا الله **والنكتة** انها كانت
رحيمة فقط فلم يجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبيده واطب
على الرحمن الرحيم خمسين سنة روى انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله مائة
رحمة انزل منها واحدة بين الانس والجن والطير والبهايم والهوام يتعاطفون
ويتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ولعل هذا
على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكم منه بلا غاية ورحمة بلا نهاية واختتام جمع
اهل الايمان البسملة بالرحيم دليل واضح على ان اختتام جمع اهل الايمان على الرحمة

والغفران اللهم اغفر رمضات الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات
الجنان وهفوات اللسان يا الهي بي رضايت كرزبان وچشم دل
زشت كويد يا به بيند يا رود جايئ مهل الحمد الحمد الحمد هنا شامل
للثناء والشكر والمدح وخص الله تعالى الحمد بمراتبه الثلثة حمد الحمد وحمد الحمد نفسه
وحمد غيره له بذاته الاقدس الازلي الابدي محمد الحمد هو في الحمدين اذ لو لم يكن لا
صح ان له حمدا قال العارف بالله محمد الحمد معطي الحمد فيه ولولا الحمد ما كان الحميد ومحمد الحمد
صفه وصفه عينه اشارة الى ان المحمود الحقيقي هو الذي له الكمال التام وهو
لا يوجد في غيره تعالى لان مبنى الالوهية هو استغناؤه الاله عما سواه واحتياج
جميع ما سواه اليه من جميع الجهات فالاول مفيد للجلال والثاني مشير الى الجمال وعند
اجتماعهما يحصل الكمال التام تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وكل كمال
موجود فيما سواه فايض من انعامه فالحمد الصادر اللايق بشانه تعالى هو الذي حمد به
ذاته الاقدس ولسان البشر قاصر عن ادائه لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك فانه ليس من شان المخلوق ان يحمد الله تعالى حقه الا مجازا وتقليدا
فمن اغرب احكام الحمد هو حمد الحق الحمد ومحمد الحق الخلق بالحمد ايضا وذلك باظهاره
عين الحمد حيث شاء من العوالم وجعله صفة من اراد من اهل ذلك العالم فيظهر
حكم الحمد بالحق فيمن قام به وصار صفة له فان المعاني توجب احكامها لمن قامت
به واما حمد الحمد الحق او نفسه او الكوني فهو بظهور حكمه وقيامه بالمحمود فيه لان الحادث
لم يبلغ علمه كنه صفة من صفات الله الازلية كما قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء حتى يحمده ويثني عليه بمعرفة كنه صفة من صفاته لان الحمد والثناء

فرع

فرع المعرفة فاحمد وما اثنى احد على الله تعالى تحقيقا الا تقليدا واما الشكر فلا يمكن
للانسان ان يشكر الله تعالى حقيقة الا برؤية العجز عن القيام بادائه كما حكي عن
داود عليه السلام انه قال الهي كيف اشكرك وانا لا اصل شكرك الا بنعمتك
فاوحى الله تعالى اليه الآن شكرتني وذلك لان التوفيق للشكر نعمة موجبة
للشكر فلا نهاية للنعم فكيف يدرك الشاكر الحادث النعم التي هي غير متناهية
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اما حمده تعالى على ذاته الجميل في مقام الاجمال فهو
على ثلثة اقسام قولي وهو الذي حمد الله تعالى ذاته به في الكتب السماوي بالكمل
الصفاتي والفعلي كاظهار الكمالات الجلالية والجمالية المخزونة في الغيب والباطن
والعلم في عالم الشهادة والظاهر والعين في محل الولايات وعالم تجلي الذات
بالذات في الذات بفيض الاقدس الاولي وظهور نوره الازلي بمقتضى كليته
واما حمده جل عظمته في مقام التفصيل وان المظاهر عبارة عنه ايضا على ثلثة
اقسام قولي وهو حمد لسان الانسان بان يحمده بصفة فعل او بصفة تنزيه كما ورد
في كل شريعة وملة على السنة الانبياء عليهم السلام وفعلي وهو اتيان العبد
بالاعمال البدنية والطاعات والعبادات بحيث يصرف العبد جميع ما انعم الله
عليه لما خلق له وحالي وهو اشتغال الروح والقلب بالاتصاف بالكمالات
العلمية والعملية واكتساب الاخلاق الالهية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تخلقوا
باخلاق الله ففي مقام الجمع الحامد والمحمود والشاكر والمشكور والذاكر والمذكور
هو الله وعلى الله ومن الله لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا انا لك
اني ذاكرك شاكر فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا بانك مذكور وذكر

وذاكر رب العالمين اى موجدهم ومبقيهم ومغنيهم ومعيدهم ومجزيهم قال العارف
بالله في الفتوحات المكية الرب لكنا والرب مصلحنا والرب مثبتنا لانه الذات
لولا وجودي وعين الحق اوجدني ما كنت ادري بان الكائن الغائب فالحق اوجدني
منه وايدني به لذلك دعي الناطق الصامت وللربوبية خمسة احكام الثبوت
على الكونين والسلطان على اهل النزاع والنظر في مصالح الممكنات والعبودة
التي لا تقبل العتق وارتباط الحيوة بالاسباب المعتادة فاما الثبوت على الكونين
فهو مع قوله كل يوم هو في شأن وقوله يقلب الله اليل والنهار واما السلطان على اهل
النزاع هو ان المقالات اختلفت في الله اختلافا كثيرا مع قوة واحدة هي الفكر
في اشخاص كثيرين مختلفي الامزجة والامتزاج فحكم الرب بين اصحاب هذه المقالات
بما جاء به الشرع المنزل فتبقى العقول واقفة عند ادلتها ويرجع اختلاف نظرها في
المواد الشرعية بعدما كانت اولا ناظرة بالنظر العقلي فالربوبية بمعنى الى القيمة
والملكية والسيادة عامة وبمعنى التربية خاصة لان التربية بحسب انواع الموجودات
متفاوتة تربية الاشباح بموايد النعم والارواح بفوايد الكرم ونفوس العابدين
باحكام الشريعة وقلوب المشتاقين باداب الطريقة بلاحظه بعين الاقبال ومشاهدة
حسن الاتصال والظاهر بالنعم والباطن بالرحمة والكافر بالتمتع بالدنيا والمؤمن
بنعيم ولكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين في العقبى والعشاق باستحقاقهم
للتشرف بجمال المولى واما النظر في الممكنات فاعلم ان الممكنات من حيث
ذاتها لم تتعين لقبول لماح الاطراف طرف ملتفت به اولى فيلتفت الرب بنظر
بالاولية في وجودها وعدمها واختصاصها بوجه دون وجه واما العبودة التي

لا يقبل العتق فهي العبودة لله تعالى فان العبودة على ثلاثة اقسام عبودة لله
وعبودة لخلق وعبودة للحال وهي عبودة العبودة فهو منسوب الى نفسه
ولا يقبل العتق من هذه الثلاثة الا عبودة الخلق وهي على قسمين عبودة في حرية
وهي عبودتهم للاسباب وان كانوا احرارا وعبودة الملك وهي العبودية الموقتة
في العموم التي يدخلها السبع والشاة فيدخلها العتق فيخرجه عن ملك المخلوق فتبقيت
الحيوة في ملك الاسباب هل يخرج من الله فان الاسباب امر لا محيص عن ان الاسباب
حاكمة عليه ولا بد من الحال الخارج عنها الا بالوهم لا في نفس الامر قال ما يصح العتق
من رق الاسباب وعتقه موقوف على ذلك الوجه الخاص فاذا عرفه خرج عن رق الاسباب
واما عبودية الله وعبودية العبودية وهي عبودية الحال فلا يصح العتق فيها
بحال واحدة واما ارتباط الحيوة بالاسباب المعتادة فاظهر ما يكون فيما ينفع به الغذا
لكل متغذ من الغذى المعنوي والمحسوس فالغذا المحسوس معلوم والغذا المعنوي ما يتغذى به
العقل والروح والقلب والسر فغذا العقل هو حيوته بالعلم الرباني واستكماله بالفيض
الصمداني وغذا الروح تحصيل اسباب يستكمل بها الروح ويترقى في مقامات
الروحانية الى درجات قربات الربانية والاعراض عما سوى الله تعالى ولا يتأسف
على شئ من المخلوقات الا على القلب وذلك لان القلب مراة جمال الحق تعالى فتأسف
عاشق الجمال على المراة ما هو على المراة بل انما هو على الجمال فيتأسف
على القلب تأسف وحزنه على مشاهدة جمال الحق لانه لا يشاهد الا في مراة القلب
وغذا القلب بان يكون قابلا مستعدا لتجلي الرب فانه سبحانه وتعالى يتجلى لقلوب
اوليائه وقد وعد الله بوجدانه للطالبين فقال لا من طلبني وجدني والسر فيه

ان طلب الحق تعالى يكون بالقلب لا بالقالب قلب المؤمن عرش الله العظيم
ووجد انه ايضا يكون في القلب كما قال موسى عليه السلام الهي اين اجدك قال
عند المنكسرة قلوبهم لاجلي اي محبي اذ القلب عرش الرب تبارك وتعالى
دون ماسواه كما قال الله تعالى لا يسعني ارضي ولا سمائي واما يسعني قلب عبدي المؤمن
وغذاء السر باجتماعه مع القلب حتى تحصل السلطنة بسبب الاجتماع للروح
فتقهر الاعداء في الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوحدة على سبيل الاستقلال
فصار الكمال مرغوب الالهية وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد
بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فجميع ما سواه
اثر من اثار قدرته وحصول الاثار في المقدورات على قدر استعدادهم كمال له تعالى
فانه لا شيء يضاهيه هيهات او يساويه ليس كمثله شيء وهو السميع العليم كما ان
اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا لها بل هو حد كمالها ولو كان شمس
اخرى تساويها او تضاهيها لكان نقصانا لها بل هو حد كمالها فلذلك
وجود جميع العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا فيكون الرب
متفردا بالوجود وهو الكمال والاسم الرب اختصاص باجابة الدعاء حتى قيل انه
اسم اعظم واستدل عليه بان الانبياء عليهم السلام والاولياء كلهم اجمعوا الدعاء
به في الادعية المستجابة لجلب المنافع مثل رب هب لي علما ورب اغفر لي
ودفع المضار مثل ربنا لا تزغ قلوبنا وفيه نظر فان هذا ادل على ان الاسم الرب
اختصاصا بالاجابة لا غير بل الاسم الاعظم هو الذي لا يكون للاشتقاق فيه ظهور
ويكون دالا على الذات مطلقا بلا اضافة ومستجمعا لجميع الصفات وهل هذا

الا الله وغيره من الاسماء لا يكون بمثابته والعالم ما يعلم به الصانع اعلم ايدك الله
بان العوالم الجزئية التفصيلية لا نهاية لها ولكن العوالم الكلية المحيطة بجميع العوالم
الروحانيات والجسمانيات العلويات والسفليات والعقليات
والنفسيات والفلكيات والعنصريات والنباتيات والحيوانيات
والانسانية منحصرة في خمس عالم اللاهوت وهو عالم الذات البحت الوجود
المطلق وهو بين الغيب والغيب المجهول الاحدية واللاتعين وعالم الجبروت
وهو عالم الصفات والواحدية والتعين الاول ومحيط الاعيان الثابتة ولا
عالم الملكوت وهو عالم الافعال والارواح والربوبية والغيب والامر والباطن
والنفوس والعقول وعالم الملك وهو عالم الاثار والاجسام والربوبية والشهادة
والخلق والظاهر والكشف والاحرام والمحسوس وعالم الناسوت وهو عالم الانسان
الكامل والمظهر قال العارف الرباني في الفصوص فنقول اعلم ان المقول عليه
سوى الحق او مسمى العالم هو بالنسبة الى الله الحق كالظل للشخص فمراده ان ما يطلق
عليه لفظ الغير ويقال له ما سوى الله فهو بالنسبة الى الله تعالى بمنزلة ظل الشخص
بالنسبة الى ذي الظل فالظل لا وجود له استقلالا بل وجوده بسبب الظل فكذلك
يعني ما سوى الله تعالى فانه لا استقلال لوجوده فان وجوده من الله تعالى لانه مظهر اسمائه
وصفاته والاسماء والصفات لازم للذات بل عين الذات فمراده ان مسمى
العالم هو بالنسبة الى الحق كالظل للشخص فان الاسماء الالهية التي اجمعها سبعة
وهي الحي العليم المريد القادر السميع البصير المتكلم وهي اصول الاسماء كلها تطلب
وتقتضي بذواتها وجود العالم روحا وجسما ومثالا فعالم المثال عالم روحاني

من جوهر روحانی یشبه بالجوهر الجسمانی من کونه محسوسا مقدارا و بالجوهر المجرد العقلی من کونه
نورانیا و لیس بجسم مرکب مادی و لا جوهر مجرد عقلی بل برزخ وحد فاصل بینهما
واسطة بین عالم الارواح و عالم الاجساد و هو المسمی بلسان اهل الشرع البرزخ
الاول و القوی الدماغیة مشترطة فی ادراکه عند الحکماء لیست بشرط عند المتکلمین
ففی هذا العالم یتجسد الارواح و یتصور المجردات فی صور و اشباح جسمانیة
کما رای النبی صلی الله علیه وسلم جبرئیل فی صورة الدحیة الکلبیة فی هذا العالم
و کما یری الاولیاء صورة الانبیاء علیهم السلام فی صورة الاشباح و النفوس
الکاملة من الانسان کثیرا ما یتشکلون باشکال مختلفة فی مواضع کما لا یخفی علی
اهل الوفاق لسکنی الممکنات مرآة لانوارها المکنونة و مظهرا لاسرارها المخزونة
لکن الناس نیام فاذا ماتوا انتبهوا نبهنی الله و ایاک من نوم الغفلة و الانانیة
و قال فی الفتوحات ان العوالم اربعة العالم الاعلی و هو عالم البقاء و عالم الاستحالة
و هو عالم الفناء و عالم التمیز و التعیین و هو عالم البقاء و الفناء ثم عالم النسب
و هذه العوالم فی موطنین فی العالم الاکبر و الاصغر و هو عالم الانسان اللطیفة
فالعالم الاعلی فالحقیقة المحمدیة و فلکها الحیوة و نظیرها من الانسان اللطیفة
و الروح القدسی و منهم العرش المحیط و نظیره من الانسان الجسم و من ذلک الکرسی
و نظیره من الانسان النفس و من ذلک البیت المعمور و نظیره من الانسان القلب
و من ذلک الملائکة و نظیرها من الانسان الارواح التی فیه و القوی و من ذلک
زحل و فلکیة و نظیرها من الانسان القوة العلمیة و النفس و من ذلک المشتری
و فلکه و نظیرها القوة الذاکرة و هو مؤخر الدماغ و من ذلک الاحمر و فلکه و نظیرها

القوة

القوة العاقلة و الیافوخ و من ذلک الشمس و فلکها و نظیرها القوة المفکرة
و وسط الدماغ ثم الزهرة و فلکها و نظیرها القوة الوهمیة و الروح الحیوانی
ثم الکاتب و فلکه و نظیرها القوة الخیالیة و مقدم الدماغ ثم القمر و فلکه و نظیرها
القوة الحسیة و الجوارح التی تحس فهذه طبقات العالم الاعلی و نظایره من الانسان
و اما عالم الاستحالة فمن ذلک کرة الاثیر و روحها الحرارة و الیبوسة و نظیره الصفراء
و روحها القوة الهاضمة و منهم فلک الهوی و روحه الحرارة و الرطوبة و نظیره الدم و
روحه القوة الجاذبة و منهم فلک الماء و روحه البرودة و الرطوبة و نظیره البلغم و روحه
القوة الدافعة و من ذلک التراب و روحه البرودة و الیبوسة و نظیره السوداء و روحها
القوة الماسکة و اما الارض فتسع طبقات ارض سوداء و ارض بیضاء و ارض حمراء و ارض صفراء و ارض زرقاء و ارض خضراء فنظیر هذه
السبعة من الانسان فی جسم الجلد و الشحم و اللحم و العروق و العصب و العضلات و العظام
و اما عالم التمیز فمنهم الروحانیون نظیرهم القوی التی فی الانسان و منهم عالم
الحیوان نظیره ما یحس من الانسان و منهم عالم النبات نظیره کل ما ینمو من الانسان
و من ذلک عالم الجماد نظیره ما لا یحس من الانسان و اما عالم النسب فمنهم العرض نظیره
الاسود و الابیض ثم الکیف و نظیره الاحوال مثل الصحة و السقم ثم الکم
نظیره الساق الطول من الذراع ثم الاین نظیره راسی علی عنقی و عنقی علی کتفی ثم
الزمان نظیره حرکة راسی و قت حرکة یدی ثم الاضافة نظیرها هذا ابی فانا ابنه
ثم الوضع نظیره لقنی و لحتی ثم ان تفعل نظیره اکلت ثم ان تفعل نظیره شبعت
و منهم اختلاف الصور فی المهمات کالفیل و الحمار و الاسد و الصرصر نظیر هذه

القوة الانسانية التي تقبل الصور المعنوية هي مذموم ومحمود هذا فطن فهو قبيل
هذا البلد فهو هما رهذا شجاع فهو سد هذا حسان فهو صراقه سبحانه وتعالى قد جعل كل فرد
من افراد العالم علامة ودليلا على امر خاص مثله فمن حيث وجوده المتعين هو علامة
على نسبته من نسب الالوهية المسماة اسماء الله تعالى الذي هذا الشيء الدال مظهر له
ومن حيث عينه الثابتة فهو دليل على عين ثابتة مثله ومن حيث كونه عينا ثابتة متصفة
بوجود متعين هو علامة على مثله من الاعيان الثانية المتصفة بالوجود فالاجزاء من حيث
هي اجزاء علامة على اجزاء مثلها ومن حيث مجموعها وما يتضمنه كل جزء من المعنى الكلي هي
علامة على الامر الكلي الجامع لها والوجود المطلق الذي يتعين منه وجودها وجعل ايضا
مجموع العالم الكبير من حيث ظاهره علامة ودليلا على روحه ومعناه وجعل جملة صور
العالم وارواحه علامة على الالوهية الجامعة للاسماء والنسب ومجموع العالم وجعل
الانسان كاملا لمجموعه من حيث صورته وروحه ومعناه ومرتبة علامة تامة ودليلا دالا عليه سبحانه دلالة كاملة وحقيقة الانسان هو عينه الثابتة التي هي عبارة
عن نسبة معلومية الحق ومميزه في حضرة ازلا حسب مرتبة وعلم ربه وسره كون
الانسان دليلا دالا عليه سبحانه ان الانسان نسخة من كل شيء ففي قوته ومرتبة اتم دل
على كل شيء بما فيه من العلامات الدالة على ذلك الشيء فقد يغني في الدلالة على كل شيء عن كل شيء
حتى ان من عباد الله من يكون مبدأ فتح الحق فيوقف الحق بالحق فاذا الحقق بموقفه
وشهوده سرى حكم تلك المعرفة وذلك الشهود في مراتب وجوده فيعلم كل شيء بالحق
حتى نفسه التي هي اقرب الاشياء اليه نسبة فانه لا خلاف في تفاوت العلماء عند التفاضل
من حيث القوابل ويجب تفاوت الاسماء والحضرات التي منها مظهر التجلي وفيها يظهر بعض

مظاهر

مظاهر التجليات مع احدية المتجلي في الجمع فالتفاوت بالمراتب والاطلاع على المراتب
بحسب العلم والحصول العلم اسباب كثيرة من العلامات والطرق وغيرها ثم انه قد يحصل
لبعض النفوس في بعض الاحيان عند هبوب النفحات الجودية الالهية احوال توجب لها
الاعراض عما سوى الحق والاقبال بوجوه قلوبها بعد التفريغ التام لاحضره غيب الغيوب
في اسرع من لمح البصر مندرك من الاسرار الالهية والكونية ما شاء الحق وقد لوح ذلك النفس
هذه المراتب في التفاصيل وقد لا تفوت مع تحققها بما حصل لها من العلم المتعلق بالحق
وباللوح مما لم يكن له دليل وعلامة غير الحق بل كان الحق عين العلامة كما اشرنا اليه واحد
يقول الحق وهو يهدي السبيل واضاف الرب الى العالمين بيانا لعموم مسلطنة ربوبية
وشمول حكم الوهيته واثبات نفوذ امره في العالم وقدرته من جهة الملك والتربية
وغير ذلك فان ذلك مما يستفيد المنعم عليه منه معرفة بالمنعم والانعام فيكمل حضوره في الحمد
ويعلو ويتسع فلا جرم انه ذكر سبحانه بعد ذلك الاسمين الرحمن الرحيم دون غيرهما
اشارة الى ان الانعام والاحسان المثمرين للحمد والشكر مما تتوابع هذين الاسمين
فانه لولا الرحمة وسبقها للغضب لم يكن وجود للكون ولا ظهر للاسم المنعم والمحسن واخواتهما
عين ولهذا كان الاسم الرحمن تلو الله في الحيطة والحكم والتعلق والجمعية للاسم الله
فقال الرحمن الرحيم تاسيسا عبارا رشاده المكلف حمده استنانا سا
برحمته بثنائه على الله تعالى بالجمال والجلال للقربة والرضوان ليعلم ان التكليف
الشرعي وان كان شاقا بحسب النظام لكنه وقع بمحض اللطف والرحمة لانه سببا
لتطهير الارواح عن شوائب العلائق البدنية وتحصيل الكمالات التي لا تكاد احصاؤها
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفي البسملة ذكر هما لاجل زيادة التبرك بالاسم الصفاتي

لاستمالة قلوب العباد على العبودية بالرحمة والغفران او تكريرا بالعباد اشارة
الى ان رحمته العامة وسعت كل شئ وبشارته بان الى الله المؤمن بمن انصف بهما
مرحوم بلا ريب لان معصية اهل العصيان متناهية ورحمة الله تعالى غير متناهية والمتناهي
يضمحل في جنب غير المتناهي فلا جرم ان محاصي جميع اهل العصيان تفنى وتضمحل في بحار رحمته
وكرمه فكن للنعم احمد حامدا وعلى رسوله واله وصحبه مصليا فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
ولا يغرنكم بالله الغرور اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو ثباب صديق
فسبحان من تفرد بتربية عباده وحجب حر حجب بلا وسايط ولا يبعد ان يقال المراد بالرحمن
الرحيم في البسملة هو المتجلي بصور الاعيان الثابتة بفيضه الاقدس فانه باعتبار هذا
الفيض واطلاقه هو الرحمن وباعتبار تخصيصه وتخصصه هو الرحيم والمراد فيما بعد
هو المتجلي بصور الاعيان الوجودية بالاعتبارين المذكورين فعلى هذا لا يتوهم في ذكر
الرحمن الرحيم تكرار مالك يوم الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما قاضي يوم
الحساب والجزا فالملك في الحقيقة هو الذي له كمال العلم والقدرة بحيث يكون قدرته
نافذة في المملوكات والمقدورات حر الممكنات باره وجواد حر لا يجاد والاعدام
والانعام والامساك والابقاء والافناء والاعطاء والمنع والاهداء والاضلال
والاعزاز والاذلال والابداء والاعادة والاحياء والاماتة ولذا قيل الملك
الحقيقي هو الذي لا تزول ملكه ولا يقدر مملوكه على منازعته فاذا تفكر اللبيب في هذا المعنى
ونظر بعين البصيرة في الافاق والانفس فتح له ابواب العرفان وبصر قلبه وروحه
معمورا بمشاهدة الرحمن ويجري حر لسانه ينابيع الحكمة والبيان ويصير روحه وبدنه
بمنزلة الملك التصرف في سايراعضايه كالسلطان وانما يحصل له هذه المنزلة

والثنا

والثنا بعد منازعة الهوى مع الروح وغلبة الروح عليه بعون الملك المنان ذلك لان
لما نازعته واستعان بالنفس عليه عزم الروح على قتال الهوى واستعد فلما برز الروح
بجنود التوحيد والملأ الاعلى وبرز الهوى كذلك بجنوده الامانى والغرور والملاك
الاسفل قال الروح للهوى منى اليك فان ظفرت بك فالقوم لي وان ظفرت انت
وهزمتني فالملك لك ولا يهلك القوم بيننا فبرز الروح والهوى فقتل بسيف الصدق
وظفر بالنفس بعد اباية منها وجهد كثير فاسلمت تحت سيفه فسلمت واسلمت وتطهرت
وآمنت الحواس لايمانها ودخلوا الانقيا الشريعة الغراء وسلبت عنهم الدعاوى الفاسدة
والحمد لله كلهم بان ما سوى الله تعالى مقدور تحت قدرته ازلا وابدا واسقطت عنهم
الاضافات بان يقول هذا لي وهذا مني وهذا بي كما قبل التوحيد اسقاط الاضافات
بحيث لا تطلبون الا الله ولا تستغيثون الا الى الله ولا تحبون الا الله ولا يتكلمون
الا بالله كما ورد في الحديث القدسي لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا ولسانا ويدا مؤيدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وهذه المنازعة
المذكورة هي المسماة بالجهاد الاكبر في قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من جهاد الاصغر الى جهاد الاكبر
روي ان واحدا من الامراء الذين لهم شوكة قال لواحد من العارفين اطلب مني ما تريد
قال في جوابه ما انت اسئل حاجتي منك يا غني اغننا بفضلك عمن سواك فاذا وصل
العبد الى هذه المقامات بسبب اتصافه بالكمالات وعبوديته بالصفات الاربعة الدالة
على الالوهية والربوبية والرحمة والمالكية وصار فانيا في الله باقيا بالله بسبب عبوديته
عن حجاب النفس فان الحجاب بين العابد والمعبود والراحم والمرحوم والحامد والمحمود والذاكر
والمذكور والخالق والمخلوق والمالك والمملوك ملك النفس فاذا عبر السالك عن هذا الحجاب

وماث بالموت الاختیاری المشار الیه بقوله صلی الله علیه وسلم موتوا قبل ان تموتوا
وعلم ان المنعم بانواع النعم الجلایل والدقایق المتعلقه بالدنیا والعقبی والصوره والمعنی
هو الله تعالی ففی هذا المحل تنتهی القوه المحرکه وتتصل دایره الثنا بمرکز نقطه عبد الربوبیه
الی منتهی نقطه المالکیه وتقرب الی الله تعالی بحکم من تقرب الی شبرا تقرب الیه ذراعا وحصل له
مرتبه الاحسان وهو قوله صلی الله علیه وسلم الاحسان ان تعبد الله کانک تراه صار له
البیان ما کان فیبقی العبد عبدا مملوکا لا یقدر علی شیء وهو کل علی مولاه فیرحمه مالکه
ویذکره بفیضه وکرمه وقضیته وعده فاذکروني اذکرکم وینادیه ویخاطب نفسه یا ایتها
النفس المطمئنه ثم عذبه عن غیبته نفسه الی شهود مالکیته ربه بجذبه ارجعی الی ربک فیشاهد جمال
مالکه وتستعد لقرب الالتفات ویخاطبه خطاب عبد خاضع خاشع ذلیل عاجز بقوله

ایاک نعبد وایاک نستعین لان معنی العبادة اصلها الخضوع والانقیاد والطاعة
والذله ولذا یسمی العبد عبدا لذلته وانقیاده اولا ه فاذا قال العارف ایاک وحد الحق
بحرف الخطاب فجعله مواجهه لاعلی جهة التحدید ولکن امتثالا لقول الشارع لمثل
ذلک العابد فی موضع التعلیم الاحسان ان تعبد الله کانک تراه ومن عبد الله کانه
یراه فلابد ان یواجهه بحرف الخطاب وانما وحده ولم یجمعه ایضا امتثالا لامر الله فی قوله
اعبدوا الله وحده فوحده فی الخطاب کما وحد نفسه فی الامر وفی تقدیم ایاک علی
نعبد ونستعین الذی هو مفید للحصر اشاره الی ان العابد والمستعین ینبغی ان یکون
نظرهما اولا الی المعبود والمستعان بالحق ثم الی نفسه وعبادته ولکن لا من حیث
انها صادره عنه بل من حیث انها وصله بینه وبین الحق فان العارف انما یحق
وصوله اذا استغرق فی ملاحظه جناب القدس وغاب عما عداه حتی انه لا یلاحظ

نفسه

نفسه ولا حالا من احواله الا من حیث انها ملاحظه له ومنتسبه الیه وهذا الطریق
هو الطریق الجذبی صلی الله علیه وسلم فانه قال ان الله مناد وهذا هو السیر فی الله
وعلامه المحبوبیه فلما کان النبی صلی الله علیه وسلم سالکا لهذا الطریق الذی
هو افضل الطرق وکان طالبا لمحاله تعالی خوطب بقوله تعالی الم تر الی ربک کیف مد الظل
الایه وامثاله کان نظره اولا الی نفسه ثم الی معبوده ومستعانه وهو الطریق الموسوی
فان موسی علیه السلام قال ان هی الا فتنتک وهذا هو السیر من الله وعلامه المحبوبیه وفیه
شایبه الانانیه والاضافه ولذلک لما قال موسی علیه السلام ارنی خوطب
بقوله تعالی لن ترانی فشتان ما بین من یتبین فالعابد المخلص اذا افتتح بذکر الحق
بالصفات التی ذکرت من اول السوره الی هنا یصیر مستغرقا بمشاهده نور جماله
فلما قام بالعباده عرف ان الهدایه والتوفیق بالمعبود وعلم ان العباده انما تضاف
بالمعبود للمعبود بالعباده فان العارف بالسبب الی المسبب لا یلتفت الی السبب
فلا مزیه فی ان نظره یکون اولا الی المعبود ثم الی نفسه وعباده فکن من الشاکرین
علی الانعام علیک باتباع افضل الطرق وکن من خیر امه بنهنی الله وایاک من لوم
الغفله ونعبد مشتق من العباده او العبود ونوا ما فی من الاول جاء بفتح العین
ومن الثانی بضمه والمضارع منهما بضم العین لا غیر فصاحب العباده عابد وجمعه عباد
وصاحب العبودیه عبد وجمعه عباد قیل العباده ان تفعل ما کان فیه رضاء الله
والعبودیه ان تجتنب ما فیه رضاه واصول العباده ستة الصلوة بلا غفله والصوم
بلا غیبه والزکوة بلا منه والحج بلا ریاء والذکر بلا ملاله ومحافظه الامر والنهی بلا سمعه
وارکان العبودیه ایضا ستة الرضا بلا خصومه والصبر بلا شکایه والیقین بلا شبهه

والشهود بلا غيبة والتوجه بلا فترة والاتصال بلا قطيعة فمن اتصف بهما لابد
ان يختار من العبادات الصوم فيصوم عن لذات الدنيا باجمعها ومن المعاملات
الرهن فيكون قلبه رهينا عند ربه ومن المناجات الطلاق فيطلق الدنيا ثلاثا ومن
الجنايات القصاص فيهلك نفسه في سبيل ربه ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب
لان كل فعل يصدر من الانسان من افعال البر يقصد به امرا ما غير الحق كائنا ما كان فهو فيه
يعد من الاجراء لا من العبيد ومتى صدر منه الفعل المسمى بر اتى عملا صالحا ولا يقصد به
امرا بعينه على ان يفعل لكونه خيرا فقط او لكونه مامورا بفعله ويكون مطمح نظره في الفعل الامر
ولكن ليس لكونه امرا مطلقا بل من حيث الحضور فيه مع الآمر فهو الرجل فان ارعى بحيث
ان لا يقصد بما يفعله غير الحق كان تاما في الرجولية فان تعدى هذا المقام بحيث تحقق انه
لا يفعل شيئا الا بالحق كما ورد في الحديث فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش
صار تاما في المعرفة والرجولية فان انضم الى ما ذكرنا حضوره مع الحق من حيث
صدور افعاله من العبد وبالعبد وبتحقق ذلك ويشهده بغير الحق لا بنفسه من حيث
اضافة الشهود والفعل والاضافة الى الحق لا الى نفسه فهو العبد المخلص فان طرأت
عليه احكام هذا المقام والمقام الذي قبله وهو مقام فبي يسمع الحديث غير بعيد
بشيء منها ولا يجوز لهما مع سريان حكم شهود الاحدي على النحو المشار اليه في كل مرتبة وشئة
دون الثبات على امر بعينه بل يكون ثابتا في سعة وقبول كل وصف وحكم مع عدم تقيده
بمرتبة دون غيرها عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ عنه في كل وقت ودون
غفلة ولا حجاب فهو الكامل في العبودية والخلافة والاحاطة والاطلاق وفقني الله
واياكم لهذا والاستعانة طلب العون مطلقا لحصول الامال والافضال وعند العارفين

الاستعانة طلب المعاينة فان العابد يطلب ان يكون عبادته عن قلب حاضر لانه لا صلوة
الا بحضور القلب فكانه يطلب ان ينظر بعين البصيرة الى معبوده الاحسان ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ليكون خطابه ومناجاته مع احد فتقع
فيكون الصلوة حقيقة عند الله فيكون مقبولا عند الله ولا هذا اشار صلى الله عليه وسلم
جعلت وقرة عيني في الصلوة الحديث واذا كان قلبه في هذا المحل مشغولا بغيره
فيكون هذا الغير معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه
وسلم الهوى البغض الله عبد في الارض فيكون صلوته ومردودة ولذا قدم نعبد
على نستعين فمن اقر اياك نعبد فقد برئ من البحر لانه اسند الفعل الى نفسه ومن اقر
اياك نستعين فقد برئ من القدر فان اصل القدر يقولون بان العبد خالق لافعاله
من الخير والشر وهذا مذهب المعتزلة والخوارج روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
القدرية مجوس هذه الامة والمراد اياك نعبد الاشتراك في الاستعانة بغيره تعالى
فكان العابد يقول لا استعين بغيرك لان غيرك عاجز ومحتاج وانت الغني الصمد
وفي تخصيص الاستعانة به تعالى اتباع للخليل على نبينا وعليه السلام فانه حين وضعه
نمرود في المنجنيق والقاه في النار قال له جبرئيل عليه السلام هل لك من حاجة قال
اما اليك فلا فقال له جبرئيل فاسئل حاجتك من الله فقال حسبي من سوالي علمه بحالي
فكان العابد العارف يقول بلسان الحال الهي خليلك لما صار مشرفا على نار نمرود
وهو راض بالاستعانة بغيرك خلصته من ناره وقلت يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
فانا عبدك الذليل مشرف على نار جهنم فلا استعين بغيرك اتباعا لخليلك وحبيبك

خلصني بر حمتك من نار جهنم مع نصبه مستغاثا للرحمة حتى تقول له نار جهنم جز يا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي هذا لان مرتبة العبد و امثالها الربوبية المتنبطنة
في ذلك من الحق انزل هذا على عباده و امرهم بعبادته على هذا الوجه فهو انه سبحانه
وتعالى اعلم ان القلوب و ان كانت مفطورة على معرفته و العبادة له و الالتجاء اليه
فان الشواغل و الغفلات التي من خصائص هذه النشاة تذهل الانسان في بعض
الاوقات عن تذكر ما يجب ذكره و استحضاره فاحتاج الى التذكر و تعيين ما الاولى للقلوب
عليه لان ما لا تعيين له لا يمر و لا يرد ثم لا جرم انه امره تعالى ان يقول بعد تقديم الثناء عليه
اياك نعبد و اياك نستعين تذكرا له ان الذي لجده من العلم و القوة و غيرهما لا يطمئن
الملك فيه مستقلا و لك بشيء من الكمالات اختصاص بل ذلك كله مني و لي كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم انما نحن به و له فالمرتبة الربانية تعرف العبد بقدر الاستقلال
في الطرفين و هذا التذكر من غاية الفضل و الاحسان قيل و لا يبعد ان يجعل العبادة
اشارة الى الفناء في الله لان غاية الخضوع هي الرجوع الى العدم الاصلي و الاستعانة
اشارة الى طلب البقاء بعد الفناء لتيسير السير في الروح و وجه التقديم ظاهر و في لفظ
الجمع في نعبد اشارة الى ان العابد ينبغي ان يكون عارفا مستغلا بشراشره بعبادة الله
بحيث يصرف جميع ما انعم الله عليه الى ما خلق له لان الصلوة قد عم حكمها جميع حالاته ظاهرا
و باطنا لم ينفرد بها جزء من اجزائه بل القيام و الركوع و السجود و غيرها لا يوجد الا بجميع الاجزاء
فلا بد من جمع الاجزاء في عبادة ربه و طلب المعونة منه على عبادته فجاء بنون الجمع في قوله
نعبد و نستعين فعلم من الحق لا تقيده بالنون انه يريد من العبد ان يعبده بكليته و متى
لم يكن العبد بهذه المثابة كان كاذبا في قوله نعبد و نستعين بالجمع اي بجميع الحواس و القلب

والظاهر

والباطن كما ذكر ابو حامد الغزالي قدس سره في قوله صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة
بفضل صلوة الفذ بسبع و عشرين درجة ان صلوة الجماعة هي الصلوة بالظاهر و الباطن
قال صاحب الكلمة الفارضية المعرفة بالله ملاء القلب مهابة و العين عبرة و حياء
و جمة و الصدر خشوعا و حرمة و الجوارح استكانة و ذلة و طاعة و خدمة و اللسان
ذكرا و حمدا و السمع اصغاء و تفهما و الخواطر مراقبة لمناجات خود او الوساوس
ضحلا لا قبيل و يحتمل ان يكون لفظ الجمع في نعبد و نستعين للاشارة الى وصول العبد
الى مقام الجمع فيرى العبادات و الاستعانات بل الافعال كلها صادرة عنه انتهى اعلم ان الجمع
عبارة عن زوال الحدوث بنور القدم و هلاك كل ما ظهر وجوده من العدم اي من الوجود العلمي
العلمي الى الوجود العيني في عين الذات الاحدية و الكمالات الالهية مما ينعت
بالاكوان و يوصف بالحدثان و لا نعني به ان الموجودات تنعدم مطلقا و يبقى الواحد
القهار بلا ملك لا تيلاء الملك عليه فان ذلك من متوهمات ارباب الحجاب كما توهموا
وجود رب الارباب مع عدم ما يتعلق به العلم و الخطاب مطلقا بل المراد به ان الحق
سبحانه و تعالى كما كان و ليس معه شيء غيره كان الله و لم يكن معه شيء كذلك يشاهد السالك
الواصل الى مقام الجمع ان الحق هو الموجود فقط و ليس منها سالك و لا مسلوك
اليه و لا سلوك من السالك و المسلوك اليه و السلوك بل كل ما في العالم المسمى بالغير هو عين
الهوية الالهية الظاهرة في مرايا هم المختلفة بصور مختلفة كما قيل لقد كنت ذهرا
قبل ان يكشف الغطا اخالك اني ذاكرك شاكر فلما اضاء الليل اصبحت شاهدا
بانك مذكور و ذكرو ذاكر فلا يبقى حينئذ في نظره شيء غير الحق وجود العبد انية و ان كان
متحققا في نفس الامر و لكن هذا الناظر لكونه مغلوبا بنور الحق لا يشاهد الا الوجود الحقاني

فلا يبقى عنده رب وعبد بل رب واحد وح ان انجذب بالانوار الالهية القاهرة المعقول
والاوهام يلحق بالمهيمين في جمال الله سبحانه وايما ان دام انجذابه وان لم يدم فمدة من الزمان
يلتزم في حكمهم وفي تلك المدة ينقطع عنه التكاليف الشرعية من الصوم والصلوة فيلزم صوم
الامساك عن غير الله وصلوته هو استغراقه في بحار عظمته وان لم ينجذب فيلتزم بالنبيا على عقله
ميزا بين الاشياء فهو ان تدارك اللطف الالهي وحفظه عن الوقوع في الزندقة والاباحة والظهور
بحكم الطبيعة المحظة ولا يخرجه عن التكاليف الشرعية مع رويته الكل حقا يمكن في مقامه و
يدخل في مقام الفرق بعد الجمع فيشاهد الخلق والحق معا من غير ان تحجب احدهما عن الاخر
لشهود الوحدة في عين الكثرة والكثرة في عين الوحدة وهذا الفرق بعد الجمع يسمى
بالصحو بعد المحو ايضا مقام الكمل المكملين من الانبياء والاولياء وصاحب هذا المقام
يستوي عنده الجلوة والجلوة والانوال من الخلق والخلطة معهم بعد احتجابه بالحق
عن الخلق والاخلق عن الحق فيلازم حق مقام العبودية ولا تضعف الى نفسه الابية
والانكسار والحاجة بخلاف ما اذا كان في مقام الجمع فانه حق يطلق على نفسه الاسماء
الالهية والافعال الربانية ويرى كل صدر عن غيره صادرا من نفسه لغلبة الاحدية
عليه ولاجل تمكنه في مقام الفرق بعد الجمع ولزوم مقام العبودية وحفظ الادب
مع الحضرة الالهية صار الفرق بعد الجمع اعلى حق مقام الجمع اهدنا الصراط المستقيم
الى المنهاج الواضح الذي لا عوج فيه بل شاعت استقامته واستمرت في ذلك حاله
واهدنا مشتق من الهداية او الهدى ولا فرق بينهما عند اكثر المفسرين وبعضهم قالوا بالفرق
بان يهدى بمعنى ارائة الطريق في الدين والاهتداء فيه والهداية بمعنى ارائة الطريق
مطلقا في الدين وغيره ويهدى حتى لازما ومتعديا ومختصا بالدين والهداية لا تجيء

الا متعديا وليست لمختصة به وسمي الصراط مستقيما لانه يؤدي الى رضا الله تعالى
والخلود في النعيم المقيم روى عن علي ابن ابي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الصراط المستقيم كتاب الله عز وجل واخرج الحاكم وصححه من
طريق ابي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الصراط المستقيم قال هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحباه واخرج احمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن
المنذر وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن النواس
سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى
جنتي الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب
الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعوا
من فوق الصراط فاذا اراد انسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك
لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المحارم
محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي من فوق واعظ الله تعالى
في قلب كل مسلم ارشد الله تعالى عباده فضلا بالدعا بعد الثناء والاتصاف بالصفات
العظام وتاسيس قاعدة العبادة وتمهيد قواعد الاستعانة ليوفوا ان المقصد الاقصى
والمطلب الاعلى هو طلب زيادة الاهتداء على الصراط المستقيم والذين اهتدوا
زادهم هدى والثبوت على المنهج القويم فان الاعمال بخواتيمها روى عن علي ابن
ابي طالب وابي بن كعب رضي الله عنهما انهما والا اهدنا اي ثبتنا على الهداية التي و
بهتها منا ونظيره قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا او طلب المراتب
المرتبة عليه والمدارات فان الله يهدي جميع الحيوانات لجلب المنافع ودفع المضار ربنا

الذی اعطی کل شئ خلقه ثم هدی فهذه الهدایة تعمه فلا یختص بها احد دون احد واما
هدایة الخواص ففی هدایة المومنین الی الجنة لهدیهم ربهم بایمانهم واما هدایة الاخص
فهی الهدایة الحقیقیة التی مرادها تعالی الله باسمه کقوله تعالی معرضا لامتنانه علی عبده
ووجدک ضالا فهدی ای ووجدک حائرا بالله وجودک فطلبتک بحودی وحدتک بفضلی
وهدیتک بجذبات عنایتی ونورهدایتی الی وجعلتک نورا وانزلت الیک نورا فاهدی
بک الی من اشاء من عبادی فمن اتبعک وطلب رضای نخرجهم من ظلمات الوجود البشری
الی النور الرحمانی وهدیهم الی صراط مستقیم کما قال الله تعالی قد جاءکم من الله نور
وکتاب مبین یهدی به الله الآیه قال النبی صلی الله علیه وسلم عرفت ربی بربی
ولولا ربی ما عرفت ربی فطریق الهدی منها هو معرفة ما خلقه من اجله حتی یعبد عباده
عبادة فیقوی علی بنیته من ربه وقیل اهدنا ای ارنا السبیل الیک ووفقنا فی السیر فی سلوک
طریقک ثم اجذبنا بجذباتک والی الاول اشار النبی صلی الله علیه وسلم بقوله ارنا الاشیاء
کما هی والی الثانی بقوله سبق المفردون والی الثالث بقوله جذبة من جذبات
الحق توازی عمل الثقلین وقیل اهدنا بفناء اوصافنا الطریق الی اوصافک التی
لم تزل ولا تزال والوجه فی اهدنا بلفظ الجمع ان رسول الله صلی الله علیه وسلم
قال ادعوا الله بالسنة ما عصیتموه بها قالوا یا رسول الله ومن لنا بتلک الالسنة
قال یدعو بعضکم لبعض لانک ما عصیت بلسانه وهو ما عصی بلسانک فلو قال اهدنی
لم تتحقق الاستجابة بخلاف اهدنا فکان العابد العارف یشترک جمیع المومنین فی دعائه
ترغیبا لاستجابة الدعاء تحصیلا للنفع العام وهو الغبطة وهذه الخصلة راس مال جمیع
محارم الاخلاق فمن تثبت شفاعته کل واحد من افراد المومنین علی المومنین فلا شک

فی شفاعة النبی صلی الله علیه وسلم فی حق جمیع اهل العصیان فانه قال نشفاعتی
لاهل الکبایر وقال الله تعالی عسی ان یبعثک ربک مقاما محمودا فاذا قال العارف
اهدنا فهو سائل ان یهدیه الله تعالی باسمه الهدی الصراط المستقیم الذی هو صراط
التوحید مع توحید الذات والصفات والافعال فمحضر فی نفسه الصراط المستقیم
الذی هو علیه الرب من قوله ان ربی علی صراط مستقیم فانه اذا مشی العارف علی هذا
الصراط کان ما بعا للحق علی ذلک الصراط فیکون علی صراط مستقیم والاستقامة شئ
اذا وجد فی الانسان تلوح اقواله واخلاقه وافعاله متصفة بالحسن الشرعی واذا عدم
فبالقبح فالاستقامة الظاهرة هی الامتثال لجمیع الاوامر الشرعیة والاجتناب عن
جمیع النواهی والباطنة هی اضمحلال ماسوی الله بالاستواق فی محبة ولهذا قیل ان الصراط
المستقیم هو خلق النبی صلی الله علیه وسلم فمن تبعه فهو المهدی الی الصراط المستقیم
ویصل مقصده القویم مع النبیین والشهداء والصالحین ومن لا فلا وهذه حالة صعبة
عزیزة اعنی التلبس بالحالة الاعتدالیة الحقة ثم الثبات علیها ولهذا قال النبی صلی الله علیه وسلم
شیبتنی سورة هود واشار الی قوله تعالی فاستقم کما امرت ووفقنی الله وایاکم لطریق
الاستقامة ولا یخفی علیک ان اهدنا سوال من العبد ودعاء والسوال والدعاء قد یکون
بلسان الظاهر اعنی الصورة وقد یکون بلسان الروح وبلسان الحال وبلسان المقال
وبلسان الاستعداد الکلی الذاتی الغیبی السری الحکمی من حیث الاستعدادات الجزئیة الوجودیة
التی هی نقایصه والاجابة ایضا علی ضروب اجابة فی عین المسئول منه علی التعال
ودون تاخیر او بعد مدة واجابة بعوض فی الوقت ایضا او بعد مدة واجابة ثم تها

الكفر وقد نهت الشريعة على ذلك واجابة بلبيك او ما يقوم مقامه وكل دعاء وسوال
يصدر من الداعي بلسانه من الالسنة المذكورة في مقابلة من احصل المرتبة التي يستند
اليها ذلك اللسان ويتعين بالوصف الى الحال الغالبة عليه وقت الدعاء ولصحة التصور
وجودة الاستحضار في ذلك امر عظيم اعبده النبي صلى الله عليه وسلم وحرض عليه
رضي الله عنه عليه لما علمه الدعاء وفيه اللهم اهدني وسددني فقال له واذكر بهدايتك
هداية الطريق وبالسداد سداد السهم فامره باستحضار هذين الامرين حال
الدعاء فافهم هذا تلمح لك كثيرا من اسرار اجابة الحق دعاء الرسل والكمل والامثل
فالامثل من خلقوته وان صحة التصور واستقامة التوجه حال الطلب والنداء عند
الدعاء شرط عظيم قوي في الاجابة ومما يؤيد ما ذكرناه قوله عليه السلام في حديث
طويل ولو علم الله حين موقفه لزالت بدعائكم الجبال فنبه على ما ذكرنا لان الامم
معرفة بالشيء اصح تصورا له كما نبهت عليه قبل هذا وبيانه ان من تصور المنادى
المسئول منه تصورا صحيحا عن علم ورويه سابقين او حاضرين حال الدعاء ثم كلمه
ودعاه وسيما بعد امره له بالدعاء والتزامه بالاجابة فانه محسن لا محالة ومن زعم انه يقصد
منادا زيدا والطلب من وهو يستحضر غيره ويتوجه الى سواه ثم لم يحد الاجابة لا يلومن
الا نفسه فانه فاقد الآمر بالدعاء القادر على الاجابة والاسعاف وانما توجه الى
استحضره في ذهنه وانساه من صفات تصوراته بالحالة الغالبة عليه اذا ذاك
لاجرم ان سواله لا يتم ولا يثمر فيستفاده حسن ظنه به وشفاعة المعصة الالهية
وحطه سبحانه لانه تعالى شانه مع كل متصور ومتصور فالمتوجه المحكوم عليه بالخطاء مصيب

من

مستقيم
من وجه فهو كالمجتهد المخطئ ما جور غير محروم بالكلية والله يهدي من يشاء الى صراط
صراط الذين انعمت عليهم بالاستقامة بعد الهداية ولما كان الطريق الى الله بعدد
انفاس الخلائق بين الله تعالى ان طريق المستقيم هو الذي مهدى اليه خواص عباده
كالشرقي صاحب تفويض والغربي صاحب افراط هو طريق الذين انعم الله
عليهم بكشف الحقيقة فقد نبه الله سبحانه على الذين انعم عليهم النعت المطلوبة في هذه الآية
بقوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين ثم قال ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما فهذه المراتب
الاربعة كالاجناس للانواع لا تحتها من مراتب السعداء والصلاح هو النوع الاخير وذكر
الصراط وفائدة التنبيه بان الصراط على قسمين صراط من العبد الى الرب وهو طريق
وهو طريق مخوف كم قطع فيه القوافل وانقطع به الرواحل قال الله تعالى حكاية عن قاطع
هذا الطريق لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم وصراط من الرب الى العبد فهو طريق امن سالكه محفوف بالكرامة
وعابره موصول بالسلامة قد سلم فيه قرافله وتقاذف بالسلاسل قادته مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين الآية والانعام عبارة عن ايصال المنفعة الى الغير على جهة الاحسان
فالنفع الذي يكون لجلب المنافع او دفع المضار لا يسمى انعاما فعلى هذا المنعم الحقيقي
هو الله تعالى لانه المنعم بلا عرض ولا عوض وما بكم من نعمة فمن الله ونعم الله وان كانت لا تحصى
كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكن النعم الواصلة الى عباده قسمان نعم ذاتية
ونعم اسنادية فالنعم الذاتية هي كل ما يطلقه الاشياء من الحق من حيث حقايقها بالسنة
استعدادتها الكلية الغيبية وهذه السنة الذوات ولا ما خر عنها الاجابة ولا يعوض

في جنسها ولا تكفير على اجابة ذاتية كالسوال في غير المسئول وهذه النعم من حيث
الاصل نعمة واحدة وتعددها انما هو من حيث تكثرها وسوقها في مرتبة كل حقيقة
وبجنسها والنعم الاسمائية على انواع تختص بجنس دنيوي واخروي وكل واحد
منهما اما ظاهرة او باطنة واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالاولى كتخليق
الانسان ونفخ الروح فيه واناقة بالعقل وبنبوة الانبياء عليهم السلام بانزال
الكتب وبتوفيق العامة لقبول دعوة الرسل وتزكية النفس عن الرزايل وتحليتها
بالاخلاق والملكات المرضية بالامتثال بما امر به والاجتناب عما نهى عنه
والاثبات على قدم الصدق والاخلاص في العبودية والثانية كانوام الله تعالى
على الاسرار بانوار الكفاية وعلى الارواح باسرار الهداية في بداية الفطرة باصابة
رشاش نوره لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم
من نوره فمن اصابه من ذلك النور فقد اهتدى ومن اخطاه فقد ضل فكان فتح باب
صراط الله تعالى الى العبد رشاش ذلك النور ليعرفه بذلك النور فبالحق عرف
الحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عرفت ربي برب ولولا ربي ما عرفت ربي
مثلا بشعاع الشمس يعرف الشمس وهذا كمال للشمس وانما يكون نقصا لو وجد
شمس اخرى تشاركها او تضاهيها فتعالى الله عن النظير علوا كبيرا ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير هذا ولكن لا يخفى عليك ان مجموع النعم الاسمائية ايضا بالغاية
الذاتية والاستعداد الكلي الغيبي ثم بالنسبة الى المكمل الكمل المحقق بالكمال وبالنسبة
الى سواهم الكمال اللائق به اهلا له فاضافة الصراط الى العباد تدل على انهم اختيار
وانهم مخصوصون بالهداية واضافة الانعام اليه تدل على ان خالق الهداية هو الله

وبهاتين الاضافتين بطل الجبر والقدر واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله صراط الذين انعمت عليهم يقول طريق من انعمت عليهم من
الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين الذين اطاعوك وعبدوك
وقيل انعمت على العارفين بالمعرفة وعلى الاولياء بالصفوة وعلى الابرار بالحلم و
الرافة وعلى المريدين بحلاوة الطاعة وعلى الموحدين بالاستقامة وقيل انعمت
عليهم بمشاهدة المنعم دون النعم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وهو كمال لطفه وامتنانه على عباده انه ارشدهم للمسئلة بعد طلب زيادة الهداية
على صراط المستقيم ان يطلبوا ان لا تسلب عنهم هذه النعم العظمى لان كمال نعمة المنعم
عليه ان لا تسلب نعمه وكان السالك لطلب صراط توفيق الهداية والثبات على الصراط
المستقيم وكناية البعد عن المغضوب عليهم والضالين اشارة الى ان رحمته تعالى سبقت
غضبه فاللايق بحال العبد في مسئلة ان يكون مقصده الاقصى الثبات على طريق الاستقامة
لا جيابه عفو ربه وغفرانه ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وكافيا
عن غضبه الذي هو الانتقام عن المغضوب عليهم والضالين لا يامن من مكر الله الا القوم
الكافرون ليكون ايمانه حاصلا بين الرجاء والخوف والمراد بالمغضوب عليهم والله اعلم
ابليس واولاده وبالضالين التائهين لهم الى يوم الدين فعلى هذا المراد بالمنعم
عليهم المؤمنون على الاطلاق واخرج وكيع بن عبد حميد وابن جرير عن عبد الله ابن
شقيق العقيلي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بين اهل وادي القرى
فقال له رجل من هؤلاء قال هؤلاء المغضوب عليهم يعني اليهود قال يا رسول الله
فمن هؤلاء الطائفة الاخرى قال هؤلاء الضالون يعني النصارى فهذا الحديث

وغيره ح الاحاديث وان دل بحسب الظاهر على ان المغضوب عليهم اليهود والضالين
النصارى ولكن في الخصيصة غير منافي لاذكرنا لان النبي صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا
وفضلا لديه يحتمل انه مثل بهما واراد بذلك تغليظا عليهما وتشبيها لشياطين الانس
بشياطين الجن فان المغضوب عليهم والضالين غير منحصر فيهما كما لا يخفى فان حكم الغضب
الالهي هو تكميل مرتبة القبضة الشمالي فانه وان كانت كلتا يديه المقدستين يمينا
مباركة لكن حكم كل واحدة منهما يخالف الاخرى والارض جميعا قبضته والسموات
مطويات بيمينه فللبيد الواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان كما ورد
وللاخرى القهر والغضب ولوازمهما ولكل منهما دولة وسلطنة يظهر حكمها في السعداء
القايمين بشروط العبودية وحقوق الربوبية حسب الامكان والاشقياء المعتدين
الحايرين المخرفين عن سنن الاعتدال المفرطين في حقوق الالوهية فلا جرم استحقوا
بذلك لاتصال احكام حكم الغضب والضلالة بهم ولان يكونوا مدادا لسلطانهما
فالحق سبحانه من اسمائه الحكم العدل يطالبهم بحق الوهيته ويحكم بينهما وبين بهم
ويغضب لها على من سبها حقها وجار وجهل سرها ولم يقدرها قدرها فلولا
سبق الرحمة الغضب وغلبتها بالرحمة الذاتية الامتنانية التي هي للوجه الجامع
بين اليدين ما تاخرت عقوبته من شانه ما ذكر والى عموم الجور والظلم لكل فرد بما هو
يعد ظلما بالنسبة اليه اشار الحق سبحانه ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك
على ظهرها من دابة ولكن استوا الرحمة العامة من حيث الاسم الرحمن على العرش المحيط
بصور العالم وشفاعة الصورة واحدية الفعل من حيث الاصل والفاعل منع
ذلك فتاخرت بسلطنة الحكم العدل الى يوم القيمة الذي هو يوم الكشف ويوم

الفصل

ويوم الفصل والقضاء الظاهر الشامل لهناك فيظهر الامر تماما للجمهور ولهذا قال
سبحانه مالك يوم الدين اللهم بناء على عهدانيتك واذقنا برد عفوك فالخطاب في اياك
والدعاء في اهدنا الى الابد ان يتوجه تام وحضور قلب فمن كان في خطابه ودعائه
وصلوته يشهد الغير مرئي عن شهود الحق عليه او شهود في الحق فليس بمناج ولا داع ولا مصل
ربه لان الحق لا يناجي بالالفاظ في هذه الحالة وانما يناجي بالحضور فيلوح القايل الحمد لله
رب العالمين اذا كان غير حاضر مع الله تعالى لسان العبد لا عينه بجميع جوارحه فيلوح العبد
ح حامدا فيقول الله تعالى حمدني عبدي واما العارف بالله فليس من نفسه ولا لغيره جانب
ربه الا بعد تجديد طهارته لقوله تعالى وثيابك فطهر اي قلبك فمثل هذا الثوب هو الذي يصور
بتطهيره في هذا المقام فان التطهير المطلوب هنا هو البراءة عن نفسه وردالامور كلها الى الله تعالى
فيبقى للسان ح اذا قرا الاية ان يستحضر في نفسه ما تعطيه ملك الاية على قدر فهمه فان الجواب
يكون مطابقا لما استحضره من معاني ملك الاية فلا يفوتك بهذا القدر في القراءة فانه به يتميز
مراتب العلماء بالله والناس في دعائهم وصلوتهم ولهذا اختلف احوال الذاكرين في صلوتهم
ومناجاتهم ودعائهم واجابة الحق لهم بحسب مراتبهم اخرج الدار قطني والبيهقي بسند
ضعيف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمت هذه السورة
بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي
والذكر امام الذكر باللسان ان وقع في جواب الذاكر باللسان وحده لا حضور قلب ويكون
التقدير ذكرني لسان عبدي بتقدير المضاف لان الذاكر هو اللسان لا غير او ذكر الذكر وهو
بالقلب فنقع جوابا للذاكر بالقلب الحاضر والقلب اذا صار ذاكرا يصير جميع الجوارح ذاكرا
هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها

سایر الجسد واذا فسدت فسدها سایر الجسد الا وهی القلب فیصح معنی الحدیث
بلا تقدیر المضاف لان العبد فی قوله ذکرنی عبدی لیس عبارة عن اللسان وحده
بل عن الشخص الذاکر بجمیع اعضائه ثم قال الله تع فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمین
یقول الله حمدنی عبدی فالعابد العارف جازم بان الحمد کله لله تع لان کل ثناء
یثنی به علی احد من الاکوان دون الله فهو لله تع لان الثناء علی المثنی
انما یکون بما هو علیه ذلک المثنی من الصفات المحمودة وبما یکون منه وعلی ای وجه کان
فهو راجع الی الله تع لان الله تع هو الموجد لتلک الصفة ولذلک الفعل لا الکون
فهو لله تع الثناء عادت الی الله تع فاذا قال الرحمن الرحیم یقول الله اثنی علی عبدی
یعنی بصفة الرحمة ولم یذکرنی فاذ العموم رحمة فاذا قال ملک یوم الدین یقول الله مجدنی
عبدی وبعض الروایات فوض الی عبدی فالاولی فی حق الخواص والثانیة فی حق من دونهم
لان التمجید راجع الی جناب الحق من حیث ما تقتضیه ذاته ومن حیث یقتضی نسبة العالم
الیه لا غیر وهذا المنصف کله لجناب تع لیس للعبد فیه شیء فاذا قال ایاک نعبد وایاک
نستعین قال هذه الآیة بینی وبین عبدی نصفین واخر السورة لعبدی ولعبدی ما سئل
لان هذه الآیة تدل علی عابد ومعبود ومستعین ومستعان منه فالعارف لا بد
ان یعبده ویستعین منه بقلبه ولسانه وجمیع جوارحه بحیث یکون حاضرا فی مناجاة ربه
حتی یقال له صدقت فی قولک ایاک نعبد وایاک نستعین ومتی لم یکن المصلی هذه هو
المثابة کان کاذبا فی قراءته فان الله ینظر الیه فیراه ملتفتا فی صلوته الی غیره تع و
هو مع هذا یقول ایاک نعبد یقول الله تع له کذبت فی کل ذلک بجمیعک علی عبادی
الم تلتفت ببصرک الی غیر قبلتک الم تصغ بسمعک الی حدیث الی حاضرین لتسمع

ما یقوله الم تمش بقلبک وفکرک فی سوقک وهواک فاین صدقک فی قولک
ایاک نعبد فیخطر العارف هذا الکلام فی خاطره فینبغی ان یقول یا رب نعبدک الا بحضور القلب
لئلا یقال له کذبت فی جمعیتک علی فی عبادتی وطلب معونتی قال العارف
الدیابی فی الفتوحات روینا فی هذا الباب عن بعض المعلمین الصالحین
ان شابا صوفیا کان یقرأ علیه القرآن فرآه مصفر اللون فسئل عن حاله فقیل له انه
یقوم اللیل بالقرآن کله فقال له یا ولدی اذا کان فی هذه اللیلة فاجعلنی فی قبلتک
واقرأ علی فی صلوتک ولا تفعل عنی فقال الشاب نعم فلما اصبح قال له هل فعلت
ما امرتک به قال نعم یا استاذ قال وهل ختمت القرآن البارحة قال لا ما قدرت
علی اکثر من نصف القرآن قال یا ولدی هذه اذا کان فی هذه اللیلة فاجعل من شدت
من الصحابة امامک الذین سمعوا القرآن من رسول الله صلی الله علیه وسلم واقرأ علیه
فاحذر فانهم سمعوه من رسول الله صلی الله علیه وسلم فلا تزل تلاوتک فقال انشاء الله
یا استاذ کذلک افعل فلما اصبح سأله الاستاذ عن لیلته فقال یا استاذ ما قدرت
طول لیلتی عن اکثر من ربع القرآن فقال یا ولدی اتل فی هذه اللیلة علی رسول الله
صلی الله علیه وسلم الذی انزل علیه القرآن واعرف بین یدی من تتلوه قال نعم
فلما اصبح قال یا استاذ ما قدرت طول لیلتی علی اکثر من جزء القرآن وما یقاربه
فقال یا ولدی اذا کان هذه اللیلة فلتکن القراءة بین یدی جبرئیل الذی نزل به
علی قلب محمد صلی الله علیه وسلم فاحذر واعرف قدر من تقرأ علیه فلما اصبح
قال یا استاذ ما قدرت علی اکثر من کذا وذکر سورا قلیلة من القرآن قال یا ولدی
اذا کان هذه اللیلة تب الی الله تع وتاهب واعلم ان المصلی یناجی ربه وانک

واقف بين يديه تتلو عليه كلامه فانظر خطك من القرآن وحظ وتدبر ما تقرأ
فليس المراد جمع الحروف ولا تأليفها ولا حكاية الاقوال وانما المراد بالقراءة التدبر
لمعاني ما تتلوه فلا تك جاهلا فلما اصبح انتظر الاستاذ الشاب فلم يجئ اليه وقف
فبعث من يسئل عن شأنه فقيل له انه اصبح مريضا يعاد فجاء اليه الاستاذ فلما
ابصره الشاب بكى وقال يا استاذ جزاك الله عني خيرا اني كاذب الا البارحة
لما قمت من مصلاي واحضرت الحق وانا بين يديه انطوا عليه كتابه فلما استفتحت
الفاتحة ووصلت الى قوله اياك نعبد نظرت الى نفسي فلم ار ما تصدق في
قولها فاستحييت ان اقول بين يديه اياك نعبد وهو يعلم اني اكذبه في مقالتي
فاني رأيت نفسي لاهية بحواطرها عن عبادته فبقيت ارددا القراءة من اول الفاتحة
الى قوله ملك يوم الدين ولا اقدر ان قوله اياك نعبد فانه ما حصلت لي فبقيت
استحي ان اكذب بين يديه يوم فبعثني فما ركعت حتى طلع الفجر وقد رضيت
كبدي وما اثار الا رجل اليه على حاله لا ارضا ما من نفسي فما افقهت ثالثة حتى مات
الشاب فجعل يقول له يا استاذ انا حي عندي حتى لم يجاسبني بشيء فرجع الاستاذ
الى بيته ولزم فراشه مريضا مما اثر فيه حالة الفتى فلحق به آمين
اسم الفعل الذي هو استجب وجاء مده لغة وقصرا قال مجنون بني عامر يا رب
لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا
بعدا وليس من القرآن وفاقا ولكن ليس ختم الفاتحة به لقوله عليه السلام
علمني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم
على الكتاب قال اسمعيل بن مسلم وكان الحسن اذا سئل عن آمين ما تفسيرها

قال

قال هو اللهم استجب واخرج مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة والبيهقي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه
من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية اخرى لمسلم عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب
عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة يقولون آمين فمن وافق تأمينه
تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه واخرج الديلمي عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ الفاتحة ثم قال امين
لم يبق ملك في السماء مقرب الا استغفر له واخرج الطبراني في الدعاء وابن مندة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امين خاتم رب العالمين على
لسان عباده المؤمنين فبدل التكلم بكلمة امين سنة في موضعين بعد قراءة
الفاتحة فانه ليس التكلم بها في الصلوة وغيرها قال الترمذي ان فاتحة الكتاب
مخصوصة بامين وغيرها ليس كذلك والحاصل ان العبد اذا قرأ الفاتحة بحضور
القلب يقول الملائكة امين ويقول باطن الانسان الذي هو روحه المشارك
للملائكة في نشأتهم امين فمن تحصل الموافقة المذكورة من قوله صلى الله عليه وسلم
من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ثم انه لما كانت الحسنات قد تحبطها
السيئات كالرياء والشرك لقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك
والسيئات تحبطها الحسنات كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
جعل الله تعالى تفضلا ورحمانا على عباده امين ختم فزاده

56

الفاتحة المشتملة على كنوز المعارف اشارة الى ان خاتمة امرهم ثابتة على الصراط
المستقيم وقدامهم محجوم مخفوفة مخزونة لا يوم الدين يخوضون بها في العذاب
الاليم ويخلدون بسببها في جنات نعيم فهذا الختم هو الاشارة به لا تمام
عبادة المخلصين فانه خاتم ليس لاحد ان يتصرف فيه سفك خير رب العالمين
ولذا ايس ابليس عن التصرف فيهم وقال الا عبادك منهم المخلصين وفقنا الله
واياكم لكمال اخلاص وصلى على خير خلقه محمد
واله وصحبه اجمعين
تم بعون سوره الحمد
لحة الكتاب